العلامة أوريجانوس والرد على كلسس

تعريب القمص مرقس داود

مكتبة المحبة

مكتبة المحبة

العلامة اوريجانوس

والرد على
كلسس

الكتاب الأول

تعريب

القمص مرقس داود



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



مقـدمة

حياة العلامة اوريجانوس

ولد فى الاسكندرية من والدين مسيحيين سنة ١٨٥ م . وكان أبوه – ويدعى ليونيدس – مسيحياً تقياً . فعني عناية شديدة بتعليم أبنه مبادىء المسيحية ، ووجه عناية خاصة بتعليمه الكتاب المقدس ، فكان يطلب منه أن يحفظ كل يوم قدراً كبيراً منه .

وبعد ذلك أكمل أكليمنضس الاسكندرى والفيلسوف أمونيوس ما بدأه أبوه ، حتى اشتهر أوريجانوس بالنبوغ الخارق للعادة فى سن مبكرة مما كان يدعو والده فى بعض الأحيان أن يكشف صدره ويقبله ، لاعتقاده بأنه هيكل ممتاز للروح القدس ، معتبراً نفسه أنه قد تبارك بذريته الصالحة .

ولما استشهد أبوه سنة ٢٠٢ م كان عمر أوريجانوس ١٧ سنة . واشتاق أن يشترك مع أبيه فى الاستشهاد . لكن أمه منعته . فكتب إلى أبيه وهو فى السجن مشجعاً إياه على الثبات فى الإيمان غير مهتم بعائلته . فصودرت كل أملاك العائلة ، وترك عبئها على أوريجانوس ، وكانت مكونة من ستة بنين أصغر منه علاوة على أمه الأرملة ، فرزحت تحت ظروف قاسية من الفقر والعوز الشديد ،

الأمر الذى اضطر أوريجانوس إلى أن يبيع الكتب الثمينة التى كان يمتلكها ، والتى جمعها من المؤلفين الوثنيين نظير مبلغ ضئيل يدفع إليه يومياً ، يكاد يكفى لحاجياته الفردية ، مكتفياً بدراسة الكتاب المقدس وحده ليدرك كل ما جاء به من الحقائق الواضحة والغامضة .

وفى نفس الوقت دبرت له العناية الإلهية سيدة غنية تكفلت بنفقات تعليمه فى مدرسة اكليمنضس اللاهوتية ، واعتنت بعائلته.

وفى سنة ٢٠٣ م كلفه بابا الاسكندرية (أنبا ديمتريوس) بإدارة المدرسة اللاهوتية ، مع أنه لم يكن عمره وقتئذ سوى ١٨ سنة .

ولما نجح نجاحاً باهراً فى المجىء بالكثيرين من الوثنيين إلى المسيحية اشتد حقد الوثنيين عليه وحاولوا قتله ، فلم يفوزوا ببلوغ أمنيتهم .

كان أوريجانوس متقشفاً جداً فى معيشته إذ كان يكتفى بأبسط الطعام ، ويمشى حافياً ، وينام على الأرض دون فراش .

كان يصرف كل النهار فى التعليم وفى الأعمال المضنية ، وأكثر الليل فى الدروس والعبادة .

وتتلمذ على يديه الكثيرون ممن لمعوا فى تاريخ كنيسة الاسكندرية . وكان من أبرزهم ياركلاس الذى خلف ديمتريوس فى البطريركية ، وديونيسيوس الذى خلف ياركلاس فى إدارة المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية حوالى سنة ٢٣١ م ، ثم فى أسقفية الاسكندرية حوالى سنة ٢٤٦ م .

ويقول يوسابيوس القيصرى فى كتابه « تاريخ الكنيسة » (٦ : ٤) إنه استشهد الكثيرون من تلاميذ أوريجانوس « أولهم بلوتارخوس ... وبعد بلورتاخوس كان الشهيد الثانى بين تلاميذ أوريجانوس هو سيرينوس الذى إذ جاز وسط النار ، قدم دليلا على الإيمان الذى قبله .

« والشهيد الثالث هو هيراكليدس ، والرابع هيرو ، وكلاهما قطع رأسه . والخامس شخص آخر باسم سيرينوس . ومن بين النساء هيريس التى ماتت وهى لا تزال تحت التعليم ، وقبلت معمودية النار ، حسب تعبير أوريجانوس فى مكان آخر »

ولما كثر تلاميذه وتلميذاته فسر الآية (مت ١٩ : ١٢) تفسيراً حرفياً وخصى نفسه . إذ خشى أن تعثره تلميذاته ، أو يعثرهن هو نفسه ، ورغب فى الوصول إلى أقصى درجات القداسة ، وتضحية كل ما يتصل بالجسد من أجل المسيح . ومع أن البعض ، بل الكثيرين ، لم يعجبوا بتصرف أوريجانوس هذا ، فإن البعض أعجبوا به من أجل جرأته ، وروح التضحية التى ظهرت فى هذا التصرف . وكان أوريجانوس يظن أن هذا لن يعرف بين الكثيرين من معارفه . لكنه كان مستحيلا أن يبقى عمل كهذا مختفياً بالرغم مما بذله من جهد لابقائه سراً خفياً .

استاء جداً ديمتريوس بطريرك الاسكندرية من هذا التصرف وكتب إلى الأساقفة فى كل العالم عنه ، واصفاً إياه بأنه فى منتهى الطياشة . لكن أسقفى قيصرية وأورشليم - اللذين كانا من

أبرز أساقفة فلسطين – اعتبرا أوريجانوس خليقاً بأعظم درجات الإكرام والتبجيل .

ازدادت دراسة أوريجانوس للكتاب المقدس تعمقاً ، حتى إنه تعلم اللغة العبرانية . وقال جيروم « إن دراسته لهذه اللغة كانت بخلاف عادة جيله وجنسه . ولكن لا غرابة فى الأمر فقد أراد أن يجعل هذه اللغة أساس دراساته ، وأن يقارن بين أسفار العهد القديم فى لغتها الأصلية والترجمات اليونانية » .

وحصل على نسخة من الأسفار العبرانية التى كانت فى أيدى اليهود ودرس أيضاً ترجمات أخرى للأسفار المقدسة على الترجمة السبعينية والترجمات المشهورة جداً التى قام بها أشخاص مختلفون .

وجمع فى كتابه المشهور هكسابلا (Hexapla) أى السداسى ، ست ترجمات للكتاب المقدس .

وبعد ذلك بدأ يكتب تفسيراً للكتاب المقدس ، بعد أن حثه على هذا أمبروسيوس ، أحد تلاميذه ، ومن فرط درايته بالكتاب المقدس كان يملى تفاسيره على أكثر من سبعة سكرتيرين كانوا يتبادلون الكتابة فى أوقات محددة . واستخدم عدداً كبيراً من النساخ عدا البنات اللاتى كن يجدن الكتابة . وكان أمبروسيوس المشار إليه ينفق على جميع هؤلاء بسخاء .

ولما ذاع صيته فى البلاد المجاورة ، بل فى كل العالم المسيحى وغير المسيحى ، أرسل حاكم بلاد العرب إلى الأنبا ديمتريوس

وإلى حاكم مصر أن يرسلا إليه أوريجانوس بأقصى سرعة ، ليعلمه التعليم المسيحى ، فأرسلاه . وبعد أن تم القصد من الزيارة فى وقت وجيز عاد أوريجانوس إلى الاسكندرية .

ثم أرسلت ماميا ، أم الملك اسكندر ساويرس ، تستدعيه إلى انطاكية لتسمع وعظه .

وفى سنة ٢٢٨ أرسله ديمتريوس إلى إخائية فى بلاد اليونان ليفند آراء الهراطقة الذين أقلقوا الكنائس هناك . فذهب . وفى رجوعه مر بفلسطين ، فرسمه أسقف أورشليم وأسقف قيصرية أسقفاً لغزارة علمه وسعة أطلاعه على الكتاب المقدس ، ولأنهما رأيا أن معلم الأساقفة لا يليق بأن يكون مجرد شخص علمانى .

ولما عاد إلى الاسكندرية عقد ديمتريوس سنة ٢٣٠ مجمعاً محلياً قرر تجريده من رتبته الكهنوتية (أولا) لأنه رسم من أسقفين لا سلطان لهما عليه (ثانيا) ولأنه خصى نفسه . وقيل إنه كانت هنالك مخالفات لاهوتية فى مؤلفاته .

فكان هذا الحكم سبباً فى أن يلتجىء أوريجانوس إلى فلسطين سنة ٢٣١ ، حيث رحب به أساقفتها . فاستقر فى قيصرية ، وأنشأ بها مدرسة لاهوتية عظيمة تتلمذ على يديه فيها « تلاميذ كثيرون ، ليس فقط من البلاد المجاورة ، بل أيضا من ممالك أخرى . من بين هؤلاء ثيودورس نفسه أحد الأساقفة البارزين ، واشتهر باسم غريغوريوس الصانع العجائب ، وأخوه اثينودورس » (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصرى ٦ : ٣٠) .

ولما تنيح ديمتريوس ، بابا الاسكندرية وخصم أوريجانوس ، خلفه ياركلاس ، الذى كان من أخلص تلاميذ أوريجانوس ، فرفع الحرم عنه وطلب منه العودة إلى الوطن . لكنه فضل البقاء فى فلسطين ، وصرف فيها بقية أيام حياته فى التعليم بالمدرسة التى أنشأها ، وفى كتابة باقى مؤلفاته الكثيرة التى لم يصل إلينا منها إلا القليل .

مؤلفاته :

يقول موسهيم المؤرخ المشهور فى كتابه (ص ١٠٠) إن أوريجانوس كتب عدة رسائل جمع منها مائة رسالة ، وثمانية كتب ضخمة فند فيها الآراء التى كان كلسوس الفيلسوف الوثنى قدضمنها فى كتابه ضد المسيحية وكتب أربعة كتب عن المبادىء ، وعشرة كتب ملقبة بمجموع فوائد والهكسابلا أى توراته التى بستة حقول من ست لغات ، والتتربلا التى بأربع قراءات ، ولم يبق منها إلا القليل ، ونبذات فى الصلاة والاستشهاد والقيامة . ولكن كتبه المعتبرة هى تفسير الأسفار المقدسة . فإنه فسر كل سفر منها إلا الرؤيا .

ويقــول يوسابيوس القيصرى فى كتــابه « تاريخ الكنيسة » (٦ : ٢٤ و ٣٢ و ٣٦) إنه « كتب تفسيراً عن إشعياء ، وقد وصلنا منه ثلاثون كتاباً . وأما تفاسيره عن حزقيال فبلغت خمسة وعشرين كتابا . وكتب تفسيراً عن نشيد الأنشاد وبلغ عشرة وكتب أيضاً تفسيراً للأنبياء الاثنى عشر » .

ويقول أيضاً « ولماذا نقدم فى كتاب التاريخ هذا قائمة دقيقة عن مؤلفات الرجل التى تحتاج إلى مؤلف خاص » .

وتقول الآنسة ايريس حبيب المصرى فى كتابها « قصة الكنيسة القبطية » (ص ٥٧) إن مؤلفاته « بلغ عددها ستة آلاف مخطوط على ما رواه أبيفانيوس أسقف قبرص . ومن بين هذه المؤلفـات التى لا تحصى الكتـاب المقدس الذى وضعه فى خمسين مجلداً » .

استمرت الكنيسة المسيحية شرقاً وغرباً فى نزاع مستمر بشأن شخص أوريجانوس وتعاليمه ومؤلفاته زمناً طويلا ، سواء فى أيام حياته أو بعد وفاته . فإن مسيحى الغرب اعتبروا مؤلفاته مقدسة ، وانسكبوا على قراءتها ، وتتلمذوا له عن طريق دراستها . أما مسيحيو الشرق فقد طعنوا فيها .

ومع أن الكنيسة القبطية لا تعتبره بين قديسيها فإنها تعتبره بين أعظم علمائها . ولذلك لا تلقبه بالقديس أوريجانوس ، بل تكتفى بأن تلقبه بالعلامة أوريجانوس .

وبعد أن أكمل جهاده فى التعليم والتأليف توفى سنة ٢٥٤ م فى مدينة صور ، وله من العمر ٦٩ سنة .



ويعتبر كتاب أوريجانوس هذا ، « الرد على كلسس » ، من أقوى ما كتبه ، بل من أقوى ما كتبه آباء القرون الأولى ، الأمر الذى دعانى إلى نقله للغة العربية ، كطلب الكثيرين من محبى الكنيسة . ويتضمن الكتاب ثمانية كتب اكتفيت فى الوقت الحاضر بتعريب واحد منها ، على أن تترجم الكتب الباقية فيما بعد إن أذن الرب وعشنا .

وإننى إذ أقــدمه للقراء الأعزاء أرجو أن يكــون بركة لكــل من يقــرأه .

وإن نفسى لتتوق إلى أن تنهض كنيستنا القبطية الأرثوذكسية مرة أخرى فى هذه الأيام نهضة قوية ، فتعود إليها قوتها الأولى ، وغيرتها الأولى ، ومحبتها الأولى ، ويقوم من بين بنيها أمثال اوريجانوس وأثناسيوس ، وكيرلس ، أولئك الذين وقفوا فى وجه مقاومى الكنيسة والمفترين عليها وقفة نبيلة ، فحطموا كل قوات الأعداء ، وحفظوا للكنيسة تعاليمها السليمة ، فباءت كل المقاومات والافتراءات بالفشل ، وخرجت الكنيسة أقوى مما كانت .

ليتمجد اسم إلهنا فى كنيسته إلى الأبد . آمين

القاهرة فى أول سبتمبر ١٩٧٠ – ٢٦ مسرى ١٦٨٦ش

القس

مرقس داود

مقــدمة

ناشرى الترجمة الانكليزية

(ملخص موجز جداً)

لا يوجد فى مؤلفات الآباء فى العصور الأولى للكنيسة المسيحية إلا القليل الذى يمكن أن يماثل فى الأهمية هذا المؤلف ، الذى يعتبر فى مقدمة كل ما كتب من كتب الدفاع عن المسيحية فى القرنين الثانى والثالث .

أراد أوريجانوس فى مؤلفه هذا أن يؤكد للسلطات الرومانية أن المسيحيين ليسوا أقلية خطرة على الدولة ، ولا غير محبين للوطن ، ولا مثيرى فتن .

وفيه نستطيع أن نرى الحجج التى كان يستخدمها فى مناقشة علماء الوثنيين فى الاسكندرية وقيصرية ، وكيف كان مقتنعاً بأن المسيحية ليست خرافات غير معقولة ، بل هى فلسفة عميقة .

ومع أن أوريجانوس لم يذكر قط اسم أكليمنضس ، إلا أنه كان مديناً له بالكثير ، إذ كان قد تتلمذ على يديه .

لم يبرز أوريجانوس فقط فى مؤلفه صفات يسوع وصحة التعاليم المسيحية ، لكنه بين أيضاً أن المسيحيين أبعد عن أن

يكونوا أميين وغير معقولين كما حاول كلسس أن يصورهم ، بل كانوا يعـرفون عن الفلسفة اليونانية أكثر مما يعرفه كلسس الوثنى نفسه .

كتب أوريجـانوس كتابـه هذا ، حسبمـا رواه يوسـابيوس فـى تاريخـه (٦ : ٣٦) أثنـاء حكـم فيليب ملك العرب سنـة ٢٤٤ - ٢٤٩ م ، عندما كان عمر أوريجانوس أكثر من ستين سنة ، وقال إنه كتـب كتبه الثمـانية رداً على كتـــاب كلسس الابيكورى المسمى « التعليم الصادق » .

بدأ كلسس حملته على المسيحية بالقول إن الكنيسة هيئة غير شرعية يجب أن لا تعيش لأنها جماعة سرية ، وإن الجماعات المسيحية يعتدون على القانون العام . وإلا فما هى مميزات هذه الجماعة السرية القوية بتماسكها القوى فى وجه الأخطار العامة .

وبعد أن تهكم على المسيحية قال : « فليرجع المسيحيون إلى طرقهم القديمة ، ويكفوا عن اتباع هذه السخافة التى اخترعت حديثاً ، وهى عبادة يهودى صلب حديثاً فى ظروف مشينة . ليرجعوا إلى العبادة القديمة ، عبادة الآلهة الكثيرة ، إلى عادات آبائهم . فالمسيحية بدعة خطرة حديثة . وإن لم توقف صارت نكبة على الامبراطورية الرومانية » .

أما شخصية كلسس فقد كـانت غير معروفة ، حتى لأوريجانوس ، فقد قال فى مقدمة مؤلفه هذا (فقرة ٤) إنه كان قد مـات منذ زمن طويل والمرجح أن كلسس كتب كتابه حوالى سـنة ١٨٠ م .

المقـدمة

— ١ —

عندما شهد شاهدا الزور على مخلصنا وربنا يسوع المسيح لزم الصمت (١) وعندما اتهم باطلا « لم يجب بشىء » (٢) . لقد كان مقتنعاً بأن كل حياته وأعماله بين اليهود أفضل من أى كلام لدحض شهادة الزور ، وأسمى من أى كلام يقوله للرد على الاتهامات .

ولست أدرى يا أمبروسيوس (٣) المحب لله ، لماذا تريدنى أن أكتب للرد على اتهامات كلسس الباطلة ، التى وردت فى كتابه ضد المسيحين وضد إيمان الكنائس . كأنه لا يوجد فى مجرد الحقائق تفنيد أفضل من رد مكتوب ، وكأن التعليم لا يقدم رداً أفضل من أية كتابة ، فهو فى غنى عن البيانات الكاذبة ، ولا يترك أى مجال لتصديق الاتهامات .

أما بخصوص صمت ربنا عندما قدمت ضده الشهادة الزور فيكفى فى الوقت الحاضر أن نقتبس كلمـات متى الإنجيلى ، لأن شهادة مرقس لا تختلف عنها . وهاك كلمات متى :

---

(١) مت ٢٦ : ٥٩ – ٦٣ ، مر ١٤ : ٥٥ – ٦١ .
(٢) مت ٢٧ : ١٢ – ١٤ ، مر ١٥ : ٣ – ٥ ، لو ٢٣ : ٩ .
(٣) ذكر يوسابيوس فى كتابه « تاريخ الكنيسة » (٦ : ١٨) أن أمبروسيوس هذا هجر هرطقة فالنتينوس إلى إيمان الكنيسة ، وذلك بجهود أوريجانوس .

« وطلب رئيس الكهنة والمجمع شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه فلم يجدوا ، مع أنه تقدم شهود زور كثيرون . وأخيراً جاء شاهدا زور وقالا : هذا الإنسان قال إنى أقدر أن أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه . فقام رئيس الكهنة وقال له : أما تجيب بشىء عما يشهد به فهذا عليك ؟ وأما يسوع فلزم الصمت » (١) .

وأما أنه « لم يجب بشىء » عندما أتهم باطلا فإليك ما قيل :

« فوقف يسوع أمام الوالى وسأله الوالى قائلا : أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت تقول . وعندما اتهمه رؤساء الكهنة والشيوخ لم يجب بشىء . فقال بيلاطس : أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جداً (٢) .

— ٢ —

كان مما يدعو فعلا لتعجب البشر ، حتى من ذوى الذكاء العادى ، أن يتهم شخص ويهـــاجم بشهادة زور ، وهو قـادر على الدفاع عن نفسه ، ويبين أنه برىء من كل التهم المنسوبة إليه ، ويعدد أعماله الحميدة ، ومعجزاته التى صنعها بقوته الإلهية ، فيقدم للقاضى فرصة لإصدار حكم كريم عنه ، ومع ذلك لم يفعل يسوع هذا ، بل استنكف اتخاذ إجراء كهذا ، وبنبل طبيعته ازدرى بمتهميه .

---

(١) مت ٢٦ : ٥٩ – ٦٣ (٢) مت ٢٧ : ١١ – ١٤ .

أما أن القاضى كان يمكنه - بدون أى تردد - أن يطلق سراحه لو كان قد قدم دفاعـــه ، فهذا واضح مما روى عنه عند ما قـال « مَن تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح » (١) ، ومما أضافه الإنجيل « لأنه علم أنهم أسلموه حسداً » (٢) . وعلى أى حال فإن يسوع يهاجمه شهود الزور فى كل الأوقات . وطالما كان الشر باقياً فى العالم فهو معرض للاتهامات بصفة دائمة . ومع ذلك فإنه لا يزال صامتاً أمام هذه ، دون أن يقدم إجابة مسموعة ، بل يضع دفاعه في حياة تلاميذه الحقيقيين ، وهذه الحياة تعتبر شهادة سامية جداً ، وتسمو على كل شهادة زور ، وتفند وتهدم كل الهجمات وكل التهم التى لا أساس لها .

- ٣ -

ولهذا فإننى أتجاسر على القول بأن هذا « البحث » الذى تطلب منى أن أكتبه سوف يضعف - لحد ما - ذلك الدفاع عن المسيحية الذى يعتمد على الحقائق ، وتلك القوة التى ليسوع الواضحة للذين لم يحرموا حرماناً كاملا من قوة الإدراك . ورغم ذلك ، فلكى يبدو بأننا ممتنعون عن القيام بالمهمة التى طلبتموها منا فقد حاولنا ، على قدر طاقتنا ، أن نرد على كل أقوال كلسس بما يبدو لدينا مناسباً لتنفيدها ، مع أن حججه ليست قادرة على زعزعة إيمان أى مؤمن حقيقى . وحاشا أن يوجد أى واحد يتزعزع فى قصده بحجج كلسس ، أو من يماثله ، بعد أن صار

---

(١) مت ٢٧ : ١٧ (٢) مت ٢٧ : ١٨

شريكا فى محبة الله التى أظهرت فى المسيح يسوع . لأن بولس عندما أراد أن يعدد الأسباب التى لا تحصى والتى تفصل الناس عادة عن محبة المسيح ، وعن محبة الله التى فى المسيح يسوع ، والتى كانت تسمو عليها كلها المحبة التى فى نفسه ، لم يقدم حجة ضد العوامل التى تفصل .

لاحظ ما قاله أولا :

« من سيفصلنا عن محبة المسيح . أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف . كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار . قد حُسبنا مثل غنم للذبح ولكننا فى هذه جميعها أعظم من منتصرين بالذى أحبنا » (١) .

وثانيا ، عندما أراد أن يضع سلسلة أخرى من الأسباب التى تؤدى عادة إلى أن تفصل غير الثابتين فى تدينهم ، قال :

« فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قـــوات ولا أمور حاضـــرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمـــق ولا خليقة أخـــرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يســـوع ربنا » (٢)

— ٤ —

حقاً إنه يليق بنا أن نحس بالفخر لأن الضيقات ، أو الأسباب الأخـــرى التى عددها بولس ، لا تفصلنا عن المســـيح . وقد أحس

---

(١) رو ٨ : ٣٥ – ٣٧ .

(٢) رو ٨ : ٣٨ و ٣٩ .

بهذا الإحساس بولس والرسل الآخرون ومن كان يماثلهم ، لأنهم كانوا أسمى جداً من مثل تلك المعوقات وذلك عند ما قالوا « ولكننا فى هذه جميعها أعظم من منتصرين بالذى أحبنا » وهذا تعبير أقوى مما لو كان قد قال إنهم مجرد « منتصرين » .

وإن كان قد لاق بالرسل أن يحسوا بالفخر لأنهم لم يفصلوا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا فانهم قد أحسوا به ، لأنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا أمور مستقبلة قدرت أن تفصلهم عن محبـة الله التى فى المسـيح يسوع ربنا . ولذلك فإننى لا أهنىء ذلك المؤمن بالمسيح الذى يمكن أن يتزعزع إيمانه بواسطة كلسس - الذى لم يعد يشترك مع البشر فى الحياة إذ قد رحل منذ زمن طويل - أو بواسطة أية حجج قد تبدو معقولة . لأننى لست أدرى فى أية مرتبة أضع ذاك الذى يحتاج إلى حجج مكتوبة فى كتب للرد على تهم كلسس ضد المسيحيين ، لكى تمنعه من أن يتزعزع إيمانه ، وتؤيده فيه .

لكن نظراً لأنه بين الكثيرين الذين يعتبرون مؤمنين قد يوجد البعض ممن يتزعزع إيمانهم ويهدم بسبب كتابات كلسس ، لكنهم قد يحفظ إيمانهم لدى الاطلاع على رد عنها يكفى لتفنيد أقواله وإيضاح الحق ، رأيناه مناسباً أن نخضع لوصيتكم ، ونعد رداً على الرسالة التى أرسلتموها إلينا والتى أعتقد بأنه لا يوجد أى واحد - مهما كان قليـل الدراية بالفلسـفة - يوافق على تسميتها « بحث صادق » كما لقبها كلسس .

— ٥ —

وإذ لاحظ بولس أنه توجد فى الفلسفة اليونانية أمور يجب عدم الاستخفاف بها ، شبه معقولة فى عيون الكثيرين ، لكنها تمثل الباطل كأنه حق . فقد قال عن هذه الأمور :

« احترسوا لئلا يسبيكم أحد بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح » (١) وإذ رأى أنه يوجد شىء من العظمة فى كلام حكمة العالم قال إن كلام الفلاسفة هو « حسب أركان (٢) العالم . ومع ذلك فلا يوجد إنسان عاقل يقول إن كلام كلسس « حسب أركان العالم » . وتلك الكلمات التى كانت تتضمن بعض عناصر الخداع دعاها الرسول « غروراً باطلا » ربما لتمييزها عن الغرور غير الباطل . والنبى إرميا ، إذ لاحظ هذا ، تجاسر على أن يقول لله « يارب قد خادعتنى فانخدعت . أنت أقوى منى فغلبت » (٣)

أما فى لغة كلسس فيبدو لى أنه لا يوجد خداع على الإطلاق ، حتى ولا خداع باطل ، ذلك الخداع الذى يوجد فى لغة الذين أسسوا المذاهب الفلسفية ، والذين أعطوا مواهب غير عادية لمثل تلك المساعى . وكما أنه لا يوجد من يقول إن أية غلطة عادية فى

---

(١) كو ٢ : ٨ (٢) « أصل أو مبدأ أو أساس » حسب الترجمة الانجليزية .

(٣) إر ٢٠ : ٧ . انظر هامش ترجمة بيروت .

النظريات الهندسية قصد بها أن تخدع ، أو اقترحت من أجل التدريب فى هذه الأمور ، هكذا لابد أن يكون لتلك الآراء التى قيل عنها بأنها « غرور باطل » ، « تقليد الناس » ، « حسب أركان العالم » ما يماثلها فى آراء مؤسسى المذاهب الفلسفية ، إن صح تطبيق تلك المسميات عليهم .

— ٦ —

وقد قررت وضع هذه المقدمة فى البداية بعد أن كتبت الرد عن كل شىء حتى وصلت إلى النقطة التى وضع فيها كلسس هجومه على يسوع فى فم اليهودى ، وهذا فعلته لكى يبدأ به قارىء ردى على كلسس ، ويرى أن هذا المؤلف لم يوضع من أجل الكاملين فى الإيمان ، بل من أجل عديمى الخبرة بالإيمان المسيحى ، أو من أجل « الضعفاء فى الإيمان كما يسميهم الرسول ، ومن هو ضعيف فى الإيمان فاقبلوه » (١)

ويجب أن تكون هذه المقدمة مبررة لى للبدء فى ردى على كلسس عن إحدى النواحى ، والانتقال منها إلى ناحية أخرى . فقد كان قصدى الأول هو توضيح إعتراضاته الرئيسية ، ثم الردود عنها بإيجار ، ثم وضع مؤلف منسق عن البحث كله .

---

(١) رو ١٤ : ١ .

لكن حدث بعد ذلك أن الظروف أوحت إلىّ بأن أكون مقتصداً فى وقتى . وإذ اكتفى بما سبق أن ذكرته فى المقدمة ، أتقدم فى الجزء التالى لمواجهة تهم كلسس على قدر استطاعتى .

لذلك أطلب الصفح عما تجدونه فى الأجزاء التى تلى المقدمة إلى بداية الكتاب . وإن لم تتأثروا بالحجج القوية التالية ، فإننى أطلب الصفح أيضاً عنها ، ثم أحيلكم - إن رغبتم فى رد أقوى عن اعتراضات كلسس - على من هم أكثر حكمة منى ، القادرين بالكلام والمؤلفات على هدم الاتهامات التى يوجهها إلينا . والشخص الأفضل هو الذى إذا ما التقى بكتاب كلسس لا يحتاج إلى أى رد عنه مطلقاً ، بل يحتقر كل ما تضمنه ، لأنها محتقرة ، وبحق ، من كل مؤمن بالمسيح ، وذلك بالروح الذى فيه .

الفصل الأول

إن أول نقطة يقدمها كلسس ، راغباً فى التشكيك فى المسيحية هى إن المسيحيين دخلوا فى جماعات سرية بعضهم مع بعض ، مناقضين القانون ، فقال « إن بعض الاجتماعات علنية ، وهذه تتفق مع القانون ، وهنالك اجتماعات أخرى سرية ، وهذه تمارس ضد القوانين » . وقصده هو التشنيع فيما يسمى « ولائم المحبة » التى يمارسها المسيحيون كأنها الخطر العام الذى كان يهددهم ، وقد كانوا مرتبطين بها أكثر من أية أقسام .

إذن فطالما كان يهذى بالكلام حول القانون العام ، مدعياً بأن اجتماعات المسيحيين اعتداء على هذا القانون ، وجب أن نرد ، بأنه إذا ما وجد إنسان بين السكيثيين ذوى القوانين الفاسدة ، ولم يجد فرصة للتخلص منهم ، بل اضطر أن يعيش بينهم ، فإنه من أجل قانون الحق الذى يعتبره الكيثيون شراً ، يندمج فى الجماعات التى تخالف قوانينهم ولكنها تماثله فى الرأى . وإذا ما حكمنا الحق تبين أن قوانين الوثنيين المتصلة بالأوثان وعبادة الآلهة الكثيرة الوثنية ، هى قوانين سيكثيه ، أو أكثر شراً منها ، إن وجد ما هو أكثر شراً .

إذن فليس أمراً غير معقول أن تتكون جماعات لا تتفق مع القوانين القائمة ، إن كانت تؤسس من أجل الحق . وكما يحسن صنعاً أولئك الذين يدخلون فى جماعات سرية لكى يقتلوا أى طاغية طغى على حرية الدولة ، هكذا عندما طغى إبليس على المسيحيين ظلماً ، فإنهم كونوا جماعات تخالف قوانين إبليس لمقاومة سلطانه ، ولسلامة غيرهم الذين قد ينجحون فى إقناعهم للتمرد على حكومة سيكثيه ظالمة .

الفصل الثانى

بعد ذلك شرع كلسس يقول إن نظام التعليم الذى تستند عليه المسيحية ، أى اليهودية ، نظام وحشى فى منشئه . وإذ تظاهر بالعدالة والانصاف لم يوجه أى لوم للمسيحية بسبب نشأتها بين البرابرة المتوحشين ، بل مدح هؤلاء البرابرة لمقدرتهم على اكتشاف تعاليم كهذه . وإلى هـذا أضاف هذا البيان أن اليونانيين أكثر ذكاء من غيرهم فى فحص وتثبيت اكتشافات الأمم البربرية وممارستها .

وهذا هو ردنا على ادعاءاته ، ودفاعنا عن حقائق المسيحية ، إنه إن تحول أى واحـد من دراسة الآراء والعـادات اليونانية إلى

الانجيل ، فإنه لا يكتفى بأن يقرر صحة تعاليمها ، بل يثبت حقها عملياً ، ويزودها بما ينقصها من وجهة النظر اليونانية - وذلك لإيضاحها ، وهكذا يؤيد حق المسيحية .

وعلاوة على هذا يجب أن نقول بأن فى الانجيل ما يوضح نفسه بنفسه ، أكثر روحانية من أى موضح بحسب المنطق اليونانى وهذه الطريقة الإلهية دعاها الرسول « برهان (١) الروح والقوة » (١ كو ٢ : ٤) « برهان الروح » بسبب النبوات الكافية بأن تبعث الإيمان فى أى واحد يقرأها ، سيما فيما يتعلق بالمسيح « وبرهان القوة » بسبب الآيات والعجائب التى يجب أن نؤمن بأنها قد تمت ، سواء على أساسات أخرى كثيرة ، أو على هذا الأساس أن آثارها لا زالت محفوظة بين الذين يرتبون حياتهم بمقتضى وصايا الانجيل .

الفصل الثالث

بعد هذا قال كلسس إن المسيحيين يتممون طقوسهم ويعلمون تعاليمهم فى الخفاء ، وهذا يفعلونه لكى ينجوا من قصاص الموت

---

(١) « توضيح » حسب النص الوارد بالترجمة الانكليزية للكتاب ، « ابداء » حسب ترجمة اليسوعيين .

المعلق فوق رؤوسهم ، ثم قارن أخطارهم بأخطار آخرين أمثال سقراط من أجل الفلسفة . وهنا لعله ذكر أيضاً فيثاغورس وفلاسفة آخرين .

وردنا على هذا أنه فى حالة سقراط سرعان ما ندم أهل أثينا ولم يبق فى عقولهم من جهته أى شعور بالمرارة ، كما حدث أيضاً فى تاريخ فيثاغورس . صحيح أن أتباع هذا الأخير أسسوا مدارسهم وقتاً طويلاً فى الجزء من إيطاليا الذى يدعى « ماجنا جريشيا (١) » . أما فى حالة المسيحيين فإن مجلس الشيوخ الرومانى ، وأمراء ذلك الوقت ، والجنود ، والشعب ، وأقرباء الذين اعتنقوا الايمان المسيحى ، أعلنوا الحرب على تعاليمهم ، وحاولوا منع انتشاره ، والتغلب عليه بمحالفة قوية ، لولا أنه بمعونة الله نجا من الخطر ، وارتفع فوقه ، حتى هزم أخيراً كل العالم الذى تآمر عليه .

الفصل الرابع

ولنلاحظ أيضاً كيف فكر فى الحط من شأن آدابنا الأخلاقية ، زاعماً أنه يشترك معنا فيها الفلاسفة الآخرون ، وليست تعليماً

---

(١) Magna. Graecia

جديداً وقوراً . ورداً على هذا نقول إنه كان مستحيلا على من يعترفون بدينونة الله العادلة أن يؤمنوا بقصاص الخطايا إلا إذا كان لكل النـاس فكرة سليمة عن المبادىء الأدبية وفقاً للآراء العامة . فليس مما يدعو للدهشة إذن أن يكون الله قد غرس فى قلوب كل الناس تلك الحقائق التى علمها بالأنبياء وبالمخلص ، لكى يكون كل إنسان بلا عذر يوم الدينونة الإلهية ، إذ أن « مطالب الناموس مكتوبة فى قلبه » (١) وهذه حقيقة أشار إليها الكتاب المقـدس بطريقة خفية ، الأمر الذى يعتبره اليونان أسطورة خرافية ، عندما قال بأن الله كتب الوصايا بأصبعه ، وأعطاها لموسى ، تلك التى حطمها بسبب شر عبدة العجل ، كأن طوفان الشر قد اكتسحهم .

لكن موسى إذ نحت لوحين من حجر كتب الله الوصايا مرة أخرى ، وأعطاها له ، كأن الكلمة النبوية أعدت النفس ، بعد الاعتداء الأول لكى يكتب الله مرة أخرى .

الفصل الخامس

وإذ ناقش كلسس اللوائح المتعلقة بالعبادة الوثنية على أساس أن المسيحية تنفـــرد بها ، أيد صحتها قـــائلا إن المســـيحيين

---

(١) رو ٢ : ١٥ .

لا يعتقدون بأن تلك التى تصنع بالأيادى آلهة ، لأنه مما لا يتفق مع العقل السليم أن التماثيل التى يصورها أشر وأفسد الصناع ، والتى يقـدمها أيضاً فى حالات كثيرة أشر الناس ، يمكن أن تعتبر آلهة .

وإذ أراد أن يبين بأن هذا رأى عام . لم تكن المسيحية هى البادئة باكتشافه ، اقتبس فيما يلى أقوال هيراكليتس (١) فى هذا الصدد : « إن الذين يقتربون إلى التماثيل عديمة الحياة كأنها آلهة يتصرفون بنفس الطريقة التى يتصرف بها من يريدون الدخول فى مناقشات مع البيوت » .

وعن هذا نقول إن الآراء التى غرست فى عقول البشر ، مثل مبادىء الفضيلة ، يستنتج منها ليس فقط هيراكليتس ، بل أى يونانى أو بربرى نفس الاستنتاج بمجرد التأمل . لأنه ذكر أن الفرس أيضاً كانوا يعتقدون نفس الاعتقاد ، مقتبسا حجته من هيرودوتس .

ونحن أيضاً نضيف إلى هؤلاء زينون الذى من كتيوم (٢) الذى قال فى كتابه عن « نظام الدولة » : « لا حاجة لبناء هيـاكل لأن ما

(١) Heraclitus

(٢) Zeno of Hitium

يصنعه بناؤون أشرار وأشخاص محتقرون لا يليق بأن يعتبر مقدساً أو ذا قيمة تذكر » . فواضح إذن من جهة هذا الرأى ، ومن جهة غيره من الآراء الأخرى ، أن الله كتب بأصبعه على قلوب البشر الشعور بالواجب المطلوب .

الفصل السادس

بعد هذا أكد كلسس - بباعث لا أعرفه - أن المسيحيين - بأسماء شياطين معلومة وباستخدام التعزيم - يبدون بأنهم يمتلكون قوة معجزية . وأعتقد أنه يشير إلى ممارسات أولئك الذين يطردون الأرواح الشريرة بالتعزيم . وواضح أنه بهذا يفترى على الإنجيل . لأن المسيحيين لا يغلبون الأرواح الشريرة بالتعزيم ، بل باسم يسوع ، مع استخدام أقوال الإنجيل التى تشير إليه . لأن ترديدها كثيراً ما أدى إلى طرد الشياطين من البشر ، سيما عندما يكون الذين رددوها قد فعلوا ذلك بروح الإيمان الحق .

هذه القوة يمتلكها فعلا اسم يسوع ضد الأرواح الشريرة ، حتى أنه كان فعالا فى بعض الحالات حيث ردده حتى بعض الأشرار ، الأمر الذى صرح به يسوع نفسه عندما قال : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : باسمك آخرجنا شياطين وباسمك

صنعنا قوات كثيرة (١) » . ولست أدرى إن كان كلسس قد تحاشى ذكر هذا عن قصد سيء أو جهلا منه .

وبعد ذلك شرع يوجه اتهاماً للمخلص نفسه ، زاعماً أنه باستخدام السحراستطاع إتمام العجائب التى صنعها . وأنه إذ سبق فرأى أن أشخاصاً آخرين قد يستطيعون الحصول على نفس المعرفة ، ويصنعون نفس العجائب ، مفتخرين بأنهم صنعوها بقوة الله ، أبعدهم عن ملكوته . وهذا هو اتهامه : إن كانوا قد أبعدوا بعدل ، بينما هو متهم بممارسة نفس الأشياء ، فيكون هو شريراً . أما إن لم يكن شريراً وهو يمارس نفس الأشياء فيكون أيضاً الذين يمارسونها مثله غير أشرار . وحتى إن كان مستحيلا أن نبين بأية قوة كان يسوع يصنع المعجزات فواضح أن المسيحيين لم يستخدموا السحر أو التعزيم ، بل مجرد أسم يسوع ، وبضع كلمات أخرى يؤمنون بها ، وفق الكتاب المقدس .

الفصل السابع

ونظراً لأنه كثيراً ما يقول عن التعاليم المسيحية إنها نظام سرى من الإيمان فيجب أن نرد عليه من هذه الناحية أيضاً ، لأن

---

(١) مت ٧ : ٢٢ .

العالم كله تقريباً يعرف ما ينادى به المسيحيون أكثر مما يعرفه عن الآراء المحبوبة التى ينادى بها الفلاسفة . فمن ذا الذى يجهل ما يقال بأن يسوع ولد من عذراء ، وأنه صلب ، وأن قيامته عقيدة إيمانية بين الكثيرين ، وأنه سوف تأتى دينونة عامة يعاقب فيها الأشرار حسبما يستحقون ، ويجازى الأبرار بعدل ؟ ومع ذلك صار سر القيامة من الأموات موضوعاً للسخرية بين غير المؤمنين لأنه لم يُفهم . فى وسط هذه الظروف صارت التعاليم المسيحية سخافة إذ قالوا عنها إنها نظام سرى .

أما أن تكون هنالك تعاليم معينة لا يفهمها الجماهير ، لكنها تعلن بعد تعليم التعاليم المفهومة ، فهذا لا تنفرد به المسيحية وحدها ، بل تشترك فيه النظم الفلسفية ، التى توجد فيها تعاليم مفهومة ، وأخرى غير مفهومة . كان بعض مستمعى فيثاغورس يكتفون بما يقوله من دون مناقشة ، بينما كان الآخرون يتعلمون سراً تلك التعاليم التى كانت تعتبر بأنها لا تليق بأن تقدم للآذان الفاسدة وغير المستعدة . وفضلا عن ذلك فإن كل الأسرار التى تمارس فى كل مكان ، فى اليونان والممالك البربرية ، لا يوجه إليها أى طعن مع أنها تمارس سراً . ولذلك فباطلا يحاول الطعن فى تعاليم المسيحية السرية ، فإنه لا يفهم طبيعتها فهماً سليماً .

الفصل الثامن

صحيح إنه إلى حد محدود من الفصاحة يبدو أنه يدافع عن قضية أولئك الذين يشهدون لصحة المسيحية بموتهم فى الكلمات التالية : « وأنا لا أصر على القول بأنه إذا اتبع إنسان طريقة معينة من التعليم الصالح ، وتعرض للخطر من الناس لهذا السبب ، فإنه يجب أن يرتد أو يتظاهر بالارتداد ، أو يعلن صراحة العدول عن آرائه » . ثم هو يدين أولئك الذين يدّعون بأنهم لا يعتنقون الآراء المسيحية أو ينكـرونها ، مع أنهم يعتنقـونها فعلا ، قـائلا « إن مَن يعتنق رأيـاً معيناً يجب أن لا يتظاهر بإنكاره أو يعدل عنه علناً » .

وهنا يجب إدانة كلسس بمناقضة نفسه بنفسه . لأنه ثابت من بعض مؤلفاته الأخرى أنه كان أبيقورياً . أما هنا ، فلأنه أعتقد أنه يستطيع مهاجمة المسيحية بفاعلية أقوى بعدم الاعتراف بآراء أبيقور ، فقد أدعى بأن فى الإنسان شيئاً أفضل من العنصر الأرضى فى طبيعته ، وهذا الشىء مماثل لله ، وقال « إن الذين يكون فيهم هذا العنصر – أى النفس – فى حالة سليمة يسعون دواماً فى طلب ما يماثل طبيعتهم ، أى الله ، ويرغبون دواماً فى أن يسمعوا شيئاً عنه ، ويذكرونه » .

لاحظ إذن النفاق فى صفاته ، فإنه بعد أن قال إن الأنسان الذى اعتنق طريقة معينة من التعليم الصالح يجب أن لا يتصل منه إذا ما تعرض للخطر بسببه ، أو ينكره علناً » ، يورط نفسه الآن فى كل أنواع المناقضات . لأنه أدرك بأنه إذا أعترف بأنه أبيقورى فإنه لا يصدق عندما يهاجم الذين ينادون بعقيدة العناية الإلهية ، وينادون بأن الله يهيمن على العالم . ونحن قد سمعنا بأنه كان هنالك شخصان باسم كلسس ، وكان كل منهما ابيقورياً . عاش أولهما فى عصر نيرون ، أما هذا فقد عاش فى عصر أدريان ، وبعد عصره .

الفصل التاسع

بعد ذلك بدأ يوصى بأننا إذا أردنا اعتناق آراء معينة يجب أن نتبع المنطق ومرشداً معقولا ، لأن من يعتنق آراء دون سلوك هذا الطريق يكون عرضة لأن يخدع . وهو يشبه من يؤمنون بدون تبصر بالمشعوذين ، والعرافين ، وعبدة إله الشمس ، وبأى شىء آخر يصادفه المرء ، وبأشباح « هيكاتى (١) » أو أى شيطان أو شياطين أخـــرى . وكما أنه كثيراً ما يـــوجد بين أمثـــال هؤلاء الأشخاص أناس أشرار ينتهزون فرصة جهل من يسهل خداعهم فيقودونهم أينما أرادوا ، هكذا أيضاً الحال بين المسيحيين على حد قول كلسس .

---

(١) Hecate إلهة الليل والقمر حسب الأساطير اليونانية .

وهو يؤكد أنه يوجد أشخاص لا يريدون أن يقدموا أو يقبلوا مبرراً لإيمانهم ، مرددين دواماً « لا تفحص بل آمن » و« إيمانك يخلصك » وهو يدعى أن هؤلاء يقولون أيضاً : « إن حكمة هذه الحياة ردية أما الجهالة فإنها طيبة » .

وعن هذا نجيب بأنه لو كان ممكناً لكل الناس أن يتركوا مهام الحياة ويكرسوا أنفسهم للفلسفة لوجب على الجميع أن لا يتبعوا أى طريق آخر ، بل الفلسفة وحدها . لأنه فى طريقة الحياة المسيحية توجد على الأقل (ولست أتكلم قط بعجرفة) أبحاث كثيرة فى بعض عقائد الإيمان وتفسير لبعض أقوال غامضة ، وردت فى الأسفار النبوية ، وفى أمثلة الأناجيل ، وفى أمور أخرى لا تحصى رويت أو شرعت ، وهى ذات معان رمزية ، كما هو الحال فى النظم الأخرى .

لكن طالما كان الطريق السابق الإشارة إلية مستحيلا بسبب مطالب الحياة الضرورية ، ثم بسبب ضعف البشر ، ولأنه لا يمكن إلا لأفراد قليلين جدا أن يكرسوا حياتهم للدرس ، فأية طريقة يمكن ابتكارها لمساعدة الجماهير أفضل من تلك التى سلها يسوع للوثنيين ؟

ودعونا نتساءل ، بصدد جماهير المؤمنين ، الذين غسلوا دنس الشر الذى كانوا منغمسين فيه قبلا ، هل هو أفضل لهم أن يؤمنو دون البحث عن أى تعليل ، وهكذا تنصلح حياتهم بالإيمان بأن

الناس يؤدبون بسبب الخطية ، ويكرمون بسبب أعمالهم الصالحة ، أم الأفضل عدم السماح لأنفسهم بأن تتجدد حياتهم بقوة مجرد الإيمان ، بل ينتظرون حتى يتفرغوا للفحص الكامل فى البواعث الضرورية ؟ وعلى هذا الأساس يكون الأمر واضحاً أن كل الناس ، باستثناء أقلية ضئيلة جداً ، لا يريدون صلاح سلوكهم هذا ، الذى ينالونه بإيمان بسيط ، بل يفضلون أن يستمروا فى حياتهم الشـريرة .

ويجب أن نضيف أيضاً أى دليل آخر يمكن تقديمه عن هذه الحقيقة بأن تعليم المسيحية نحو خير البشرية لم يوجد بين البشر بدون التدخل الإلهى . فالرجل التقى لا يصدق بأنه حتى طبيب الجسد ، الذى يشفى المرضى ، لا يقيم فى أية مدينة أو مملكة دون سماح الله ، لأنه لا يتم أى خير للبشر بدون معونة الله .

وإن كان مَن يشفى أجساد الكثيرين ، أو يرد إليهم صحتهم ، لا يجرى الشفاء بدون معونة الله ، فبالأولى جداً ذاك الذى شفى نفوس الكثيرين وردهم إلى الفضيلة ، وهذب طبيعتهم ، وقربهم إلى الله الذى هو فوق الكل ، وعلمهم بأن ينسبوا لإرادته الصـالحة كل عمل ، وأن يتجنبوا كل ما يغضبه ، حتى أقل كلمة أو عمل ، بل حتى أفكار قلوبهم .

الفصل العاشر

ومن الناحية الأخرى ، طالما كان خصومنا يستمرون فى ترديد تلك الأقوال عن الإيمان فيجب أن نقول إننا – مع أعتبار هذا نافع للجماهير – نعترف بأننا نعلم أولئك الناس بأن يؤمنوا بدون بحث طالما كانوا لا يقدرون أن يتركوا كل مصالحهم العالمية ويتفرغوا لفحص الحجج . ومع أن خصومنا لا يعترفون بهذا فإنهم يمارسونه عملياً . لأنه من ذا الذى إذ يتفرغ لدراسة الفلسفة ، ويلقى بنفسه فى صفوف طائفة معينة ، إما مصادفه أو لأنه مزود بمدرس من تلك المدرسة ، يسلك طريقاً كهذا لأى سبب آخر إلا لأنه يؤمن بأن طائفته هذه أفضل من أية طائفة أخرى ؟ لأنه إذ لا ينتظر بأن يسمع حجج كل الفلاسفة الآخرين ، وسائر الطوائف المختلفة ، ومبررات شجب هذا النظام وتدعيم الآخر ، فإنه بهذه الطريقة يختار بأن يتكون رواقياً مثلا ، أو أفلاطونياً ، أو أرسطولياً أو أبيقورياً ، أو تابعاً لأية هيئة أخرى ، وبهذا يكون محمولا ، دون أن يعترف ، بدافع غير معقول بممارسة الرواقية مثلا واحتقار غيرها من النظم الأخرى ، محتقراً الأفلاطونية ،

كـأنه أكثر تواضعاً من غيره ، أو الأرسطوطالية ، كأنه أكثر إنسانية ،ومعترفاً ببركات الحياة البشرية أكثر من أتباع النظم الأخرى .

والبعض أيضاً إذ انزعجوا لأول وهلة من التعليم بعقيدة العناية الإلهية ، عندما لاحظوا ما يحدث فى العالم للأشرار وللفضلاء ، تسرعوا فى الاستنتاج بأنه لا توجد عناية إلهية على الإطلاق ، وتبعوا أراء أبيقور وكلسس .

الفصل الحادى عشر

وطالما كنا لابد من أن نؤمن بأحد أولئك الذين أدخلوا النظم الإيمانية بين البرابرة أو اليونانيين ، كما يعلمنا المنطق والعقل ، فلماذا لا نؤمن بالأحرى بالله الذى هو فوق الكل ، وبمن ينادى بأن العبادة لا تؤدى إلا لله فقط ، وبأنه يجب التجاوز عن الأشياء الأخرى ، إما على أساس أنها ليس لها وجود ، أو أنها موجودة فعلا ولا تستحق العبادة بل التكريم .

ومن جهة هذه الأمور ، أن من لا يؤمن فقط بل يتأمل فيها متمعناً لابد أن يذكر الأدلة الواضحة التى يكتشفها نتيجة الفحص الدقيق ، وإذ نرى بأن كل الأمور البشرية تتوقف على الإيمان فلماذا لا يكون معقولا جداً أن نؤمن بالله أكثر من إيماننا بها ؟

ومن ذا الذى يبدأ رحلة ، أو يتزوج ، أو يصير أباً لأولاد ، أو يلقى البذار فى الأرض ، دون أن يؤمن بأن أشياء أفضل ستحدث من تصرفه هذا ، مع أن العكس قد يحصل أحياناً ؟ ومن ذلك فإن الإيمان بأن أشياء أفضل ستحدث ، حتى وفق رغباتهم ، يجعل كل الناس يتجاسرون على الدخول فى مشروعات غير مؤكدة ، قد تأتى بنتائج عكس ما ينتظرون .

وإن كان الرجاء والإيمان بمستقبل أفضل يدعمان الحياة فى كل المشروعات غير المؤكدة ، فلماذا لا يقبل هذا الإيمان منطقياً ذاك الذى يؤمن (على أساسات أفضل ، ممن يسافر فى البحار ، أو يحرث الأرض ، أو يتزوج بزوجة ، أو ينشغل فى أى مشروع بشرى آخر) بوجود الله خالق كل هذه الأشياء ، وبذاك الذى ، وهو السامى الحكمة والعظيم فى التفكير الإلهى ، تجاسر بأن يعلن هذا التعليم للبشر فى كل أرجاء العالم ، رغم تعرضه للأخطار الشديدة وللموت الذى اعتبر مشيناً ، الذى تحمله من أجل الجنس البشرى ، وعلم أيضاً أولئك الذين اقتنعوا باعتناق تعاليمه فى بداية الأمر بأن يذهبوا إلى كل أرجاء العالم وينادوا بخلاص البشر ، مهما كلفهم هذا كل خطر ، وكل موت مؤكد .

الفصل الثانى عشر

ومن الناحية الأخـرى ، عندما يقول كلسس بصريح العبـارة : « إنهم يحسنون صنعاً إن أرادوا أن يقدموا إلىّ الإجابة ، ليس لأننى أطلب منهم معلومات ، فإننى عليم بكل آرائهم ، بل لأن هذه الأمور تهمنى كما تهمهم . وإن لم يريدوا ، بل استمروا يرددون - كما اعتادوا أن يفعلوا ، قائلين : لا تبحث .. الخ ، وجب أن يفسروا لى على الأقل ما هى طبيعة تلك الأمور التى يتحدثون عنها ، ومن أى مصدر استقيت الخ » .

أما بصدد تصريحه بأنه « عليم بكل تعاليمنا » فإننا يجب أن نقول بأن هذا قول جزىء ملىء بالتبجح ، لأنه لو كان قد قرأ الأنبياء ، بصفة خاصة ، المليئة بالصعوبات المعترف بها ، وبأقوال غامضة أمام الجماهير ولو كان قد طالع بإمعان وترو أمثال الأناجيل ، والكتابات الأخرى التى فى الناموس وتاريخ اليهود ، وأقوال الرسل ، وقرأها بإخلاص ، مع الرغبة فى الدخول إلى معناها ، لما كان قد تكلم بمثل هذه الجرأة ، ولما قال إنه « عليم بكل تعاليمنا » .

وحتى نحن أنفسنا ، الذين درسنا كثيراً هذه الكتابات ، لا يمكن أن نقول إننـا « عليمون بكل شىء » ، لأننا نحترم الحق . لا

يمكن لأى واحد منا أن يؤكد قائلا « أنا أعرف كل تعاليم أبيقور » أو يجرؤ على القول بأنه يعرف كل تعاليم أفلاطون ، مع علمه بأن هنالك اختلافات كثيرة فى الرأى بين مفسرى هذه الطوائف . لأنه من ذا الذى يجرؤ على القول بأنه يعرف كل آراء الرواقيين وتعاليم أرسطو ؟ إلا إن كان قد سمع هذا الافتخار « أنا أعرفها كلها » من بعض أشخاص جهلاء فاقدى الشعور ، لا يدركون جهلهم ، وتوهم بأنه عليم بها كلها لأنه كان له معلمون كهؤلاء .

شخص كهذا يبدو لى أنه يتصرف كما يتصرف شخص زار مصر (التى يتفرغ فيها الحكماء المصريون ، المتبحرون فى آداب بلادهم إلى التفلسف فى الأمور التى يعتبرونها إلهية . أما عامة الشعب فإذ يسمعون بعض الأساطير التى لا يعرفون أساسها ، فإنهم ينتفخون جداً بسبب معرفتهم الوهمية) ، فيتوهم بأنه عليم بكل نـواحى علوم المصريين إذ تتلمذ للجهلاء فقط ، دون أن يعاشر أى واحد من الكهنة ، أو يتعلم أسرار المصريين من أى مصدر آخر .

وما قلته عن العلماء والجهلاء بين المصريين يمكن أن أقوله أيضاً عن الإيرانيين ، الذين توجد لديهم أسرار تمارس بمبادىء معقولة بمعرفة المتعلمين بينهم ، أما عامة الشعب السطحيون فإنهم يفهمونها بكيفية رمزية ونفس الملاحظة تنطبق على السوريين ، والهنود ، وكل الذين انتشرت بينهم علوم الآداب وعلوم الأساطير (ميثيولوغيا) .

الفصل الثالث عشر

لكن نظراً لأن كلسس صرح بأنه قد صار قولا على ألسنة الكثيرين من المسيحيين أن « حكمة هذه الحياة ردية أما الجهالة فهى طيبة » فإننا نرد بأنه يفترى على الإنجيل ، ولا يذكر الأقوال كما وردت فى كتابات بولس الرسول حيث تقول « إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فليصر جاهلا فى هذا الدهر لكى يصير حكيماً . لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله » (١) فالرسول إذن لا يقول إن مجرد « الحكمة جهالة عند الله » ، بل « حكمة هذا العالم » وهو أيضا لا يقول « إن كان أحد بينكم يظن أنه حكيم فليصر جاهلا بصفة عامة » بل « ليصر جاهلا فى هذا الدهر لكى يصير حكيماً » .

إذن فنحن نعنى « بحكمة هذا العالم » كل نظام كاذب للفلسفة الذى يبطل ، حسب تعبير الكتاب المقدس (٢) .. ونحن لا نقول بدون تحفظ إن الجهالة طيبة ، بل عندما يصير المرء جاهلا فى هذا الدهر (العالم) كأننا نقول إن الافلاطونية التى تعتقد بخلود

---

(١) ١ كو ٣ : ١٨ و ١٩ (٢) ١ كو ٢ : ٦ .

النفس وبتناسخ الأرواح تقبل الجهالة لأن الرواقيين يهزأون بهذه التعـاليم ، ولأن الأرسطوليين يقولون عن آراء أفلاطون بأنها هذيان ، ولأن الأبيقوريين يرونها خرافة الاعتقاد بالعناية الإلهية ، ووضع الله فوق الكل .

وعلاوة على هذا ، فلكى يتبين أنه مما يتفق مع روح المسيحية وأنه من الضرورى جداً أن نوافق على التعاليم المبنية على المنطق والحكمة أكثر مما هى مبنية على مجرد الإيمان ، وأن المسيحية لا توصى بهذه الطريقة الأخيرة إلا فى ظروف معينة فقط ، لكى لا تترك الناس بدون تقديم أية معونة على الأطلاق ، فهذا يبينه بولس الرسول الأمين ليسوع عندما قال « إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعـرف الله بالحكمـة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهـالة الكرازة » (١) .

من هذه الكلمات يتضح جلياً أنه يجب معرفة الله بحكمة الله . ولكن لأن هـذا لم يحدث اسـتحسن الله أن يخلص المؤمنين لا « بالجهالة » بصفة مطلقة ، بل بالجهالة التى توصف بها الكرازة لأن الكرازة بيسـوع المسيح مصلوباً هى جهـالة الكرازة ، كما صرح بذلك بولس الرسول أيضاً عند ما قال « لكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة وأما للمدعويين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله » (٢)

---

(١) ١ كو ١ : ٢١ .

(٢) ١ كو ١ : ٢٣ و ٢٤ .

الفصل الرابع عشر

وإذ كان كلسس يعتقد أنه توجد بين أمم كثيرة مماثلة عامة فى التعاليم ، فقد عدد كل الأمم التى أوجدت هذه التعاليم أصلا . لكنه ، لسبب لا أعلمه ، أحتقر اليهود وحدهم ، ولم يحصهم مع غيرهم ، ولم يقل إنهم تعبوا مثلهم ووصلوا إلى نفس النتائج ، أو أنهم اعتنقوا نفس الآراء فى نواح كثيرة .

إذن فيليق بنا أن نسأله لماذا يصدق مؤلفات البرابرة واليونانيين التاريخية بصدد أقدمية تلك الأمم التى تحدث عنها ، لكنه يصم مؤلفات هذه الأمة التاريخية وحدها بأنها مزورة . وإن كان كل المؤرخين أعطوا وصفاً أميناً عن أممهم ، فلماذا نكذّب أنبياء اليهود وحدهم ؟ وإن كان موسى والأنبياء كتبوا كثيراً عن شعبهم بمحاباة ، رغبة فى تدعيم ديانتهم ، فلماذا لا نقول نفس الكلام عن مؤرخى الممالك الأخرى ؟ ولماذا نصدق الكثير من المؤلفات التاريخية عندما تتحدث ردياً عن اليهود ، لكن عندما يقول اليهود نفس الشىء عن غيرهم ، ويصرحون بأنهم تحملوا على أيديهم مظالم شديدة ، وأنهم لهذا السبب تحملوا القصاص من الله ، فإننا نتهمهم بالتزوير ؟

وهذا لا ينطبق على المصريين وحدهم ، بل على غيرهم ، لأننا سوف نجد أنه كانت هنالك علاقة بين الأشوريين واليهود ، وهذا مدون فى مؤلفات الأشوريين التاريخية القديمة . وكذلك قال أيضاً مؤرخو اليهود (وقد تحاشيت استخدام كلمة أنبياء لكى لا يتبين بإننى أحكم فى القضية قبل استقصاء البحث) إن الأشوريين كانوا أعداء اليهود .

إذن فلاحظ فى الحال تصرفات هذا الشخص التعسفية ، فإنه يصدق مؤلفات هذه الأمم التاريخية على أساس أنهم متعلمون ، ويدين الآخرين على أساس أنهم جهلاء جهلا مطبقاً . فاصغ إلى أقوال كلسس إذ يقول « هنالك تعاليم قديمة كائنة من البداية ، احتفظت بها أحكم الأمم والمدن والناس المتعلمون » . ومع ذلك رفض أن يقول عن اليهود إنهم أمة متعلمة كما قال عن المصريين ، والأشوريين ، والهنود ، والفرس ، وأتباع أودريسى ، وساموثراكى ، واليوسينى (١)

---

(١) Odrysians, Samothracians and Eleusinians

الفصل الخامس عشر

أما نومينيوس (١) الفيثاغورى ، الذى قدم براهين كثيرة على أنه رجل متعلم جداً ، والذى فحص باجتهاد آراء كثيرة ، وجمع من مصادر كثيرة ما بدا له بأنه حق ، فقد كان أفضل جداً من كلسس . لأنه فى مؤلفه الأول « عن الخير » إذ تحدث عن تلك الأمم التى اعتنقت تلك العقيدة أن الله لا جسد له ، ذكر اليهود أيضاً بين من يدينون بهذه العقيدة ، ولم يحجم قط حتى عن استخدام لغة أنبيائهم فى مؤلفه ، وأعطاها معنى رمزياً .

وعلاوة على هذا فقد قيل أيضاً إن هيرمبوس (٢) دوّن فى كتابه الأول « عن المشرعين » أن فيثاغورس استقى من شعب اليهود الفلسفة التى أدخلها بين اليونانيين . ولا يزال باقياً إلى الآن كتاب كتبه المؤرخ هيكاتيوس (٣) عن اليهود ، أغدق فيه المدح الكثير عن تلك الأمة بسبب ما اشتهرت به من العلم ، لدرجة أن هيرينيوس فيلو (٤) ، ذكر فى كتابه عن اليهود أنه يشك فى أن ذلك المؤرخ كتب حقاً ذلك الكتاب . ثم قال أيضاً إنه إن كان هو الذى كتبه حقاً فلعله كان متأثراً بطبيعة التاريخ اليهودى المقبول شكلا ، ولذلك صادق على ديانتهم .

---

(١) Numenius
(٢) Hermippus
(٣) Hecataeus
(٤) Herennius Philo

الفصل السادس عشر

وإننى لأعبر عن دهشتى لأن كلسس ذكر أتباع أودريسى وساموثراكى واليوسينى وهيبربورينى (١) بين أقدم الأمم وأكثرها علماً دون أن يعتبر بأن اليهود يستحقون مكاناً بينها إما بسبب علمهم أو " قدمهم ، مع وجود مؤلفات كثيرة متداولة بين المصريين والفينيقيين واليونانيين تشهد بأنهم شعب قديم ، ولست أرى مبرراً للاقتباس منها . وكل من يريد فليقرأ ما سجله فلافيوس يوسيفوس فى كتابه عن « آثار اليهود القديمة » حيث ذكر فيهما مجموعة كبيرة من المؤلفين الذين شهدوا عن قدم شعب اليهود . وهنالك أيضاً « حديث اليونانيين » الذى كتبه تاتيان الصغير ، وفيه يتحدث - بعلم غزير جداً - عن المؤرخين الذين قرروا قدم الأمة اليهودية وموسى .

فيبدو إذن أن كلسس قال هذا ، لا بدافع محبة الحق ، بل بدافع روح الكراهية ، وكانت غايته الطعن فى أصل المسيحية التى لها علاقة باليهودية . بل لقد ذكر أن القبائل التى تعيش على تناول اللبن والتى ذكرها هومر (٢) وكهنة بلاد الغال الوثنيين (٣) وقبيلة « جيتى » (٤) هم من أكثر القبائل علماً وقدماً ، بسبب

---

(١) Hyperboreans (٢) Galactophagi (٣) Druids

(٤) Getae قبيلة دينية تعتقد بتقمص أو تناسخ الأرواح .

مماثلة تقاليدهم وتقاليد اليهود ، مع أننى لا أدرى إن كانت لا تزال توجد لهم مؤلفات تاريخية . أما العبرانيون فقط - فى عرفه - فقد حرمهم من شرف القدم والعلم .

وأيضاً عندما وضع قائمة عن القدماء والمتعلمين الذين أفادوا معاصريهم بأعمالهم ، وأفادوا ذريتهم بكتاباتهم ، استثنى موسى من قائمتهم ، أما لينوس (١) ، الذى وضعه كلسس فى أبرز مكان فى قائمته ، فلم يترك شرائع أو أحاديث أحدثت أى تغيير للأفضل فى أية جماعة . بينما توجد أمة ، مشتتة فى كل أرجاء العالم ، تطيع شريعة موسى .

فاحكم إذن إن كان لم يستبعد موسى من قائمة المتعلمين بدافع الحقد الواضح ، مع أنه أثبت أن لينوس ، وموسيوس (٢) وأورفيوس (٣) ، وفرسيدس (٤) ، وزوروستر (٥) الفارسى ، وفيثاغورس ، ناقشوا هذه المواضيع ، وقد أودعت آراؤهم فى الكتب ، وهكذا حفظت إلى الوقت الحاضر . وقد تعمد أيضاً أن يتحاشى ذكر الاسطورة التى نمقها أورفيوس (٣) التى ورد فيها أن الآلهة تتأثر بضعفات البشر وأهوائهم .

---

(١) Linus (٢) Musaeus (٣) Orpheus
(٤) Pherecydes (٥) Zoroaster

الفصل السابع عشر

وعندما هاجم كلسس التاريخ الموسوى ، خطأ الذين يفسرونه تفسيراً مجازياً أو استعارياً . وهنا يجد المرء نفسه مضطراً أن يقول لهذا الرجل العظيم الذى أطلق على مؤلفه لقب « التعاليم الصادقة » :

« لماذا أيها السيد الطيب تفخر بأن يُسجل أن الآلهة يجب أن تشترك فى مثل هذه المغامرات التى وصفها شعراؤكم المتعلمون ، وفلاسفتكم وأن ترتكب المؤامرات القبيحة ، وتشتبك فى الحروب ضد آبائها ، وتنتزع أعضاءها السرية ، وتتجاسر على ارتكاب هذه الأعمال الشنيعة . أما موسى ، الذى لا يطلق مثل هذه الأوصاف على الله ، ولا حتى على الملائكة القديسين ، ولا يروى عن البشر أعمالا أقل شناعة (فإنه لم يرد فى كتاباته أن أى واحد تجاسر على ارتكاب جرائم مثل ما فعل كرونوس (١) ضد أورانوس (٢) ، أو مثل ما فعل زفس (٣) ضد أبيه ، أو مثل ما فعل ابو البشر والآلهة الذى عاشر ابنته معاشرة زوجية) فإنك تعتبره (أى تعتبر موسى) كأنه قد خدع الخاضعين لناموسه ، وقادهم إلى الضلال » ؟

---

(١) Kronos
(٢) Uranus سيار يمثل رب الأرباب عند الوثنيين .
(٣) Zeus يمثل رب الأرباب عند قدماء الأغريق .

وهنا يبدو لى أن كلسس تصرف مثل ثراسيماخوس (١) الفيلسوف الأفلاطونى عندما لم يسمح لسقراط بأن يعطى إجابة بصدد العدل كما أراد بل قال « أحرص على أن لا تقول إن العدل هو عمل ما هو ملائم ، أو ما هو ضرورى ، أو ما ماثل ذلك »

وهكذا عندما هاجم كلسس (كما توهم) مؤلفات موسى التاريخية وخطأ الذين فهموها رمزيا ، مع أنه فى نفس الوقت مدحهم على أساس أنهم أكثر معقولية ، فكأنه بمغالطاته منع (كما قصد أن يفعل) القادرين على إيضاح حقيقة الأمر من تقديم الدفاع الذى يريدون تقديمه .

الفصل الثامن عشر

وإذ أتحداه بمقارنة كتاب أقول : « تعال الآن ، أيها السيد الصالح ، وخذ أشعار لينوس وموسيوس وأورفيوس ، وكتابات فرسيدس ، وقارنها بتدقيق بناموس موسى » قارن تاريخاً بتاريخ ، والأبحاث الأدبية بالشرائع والوصايا ، واحكم لتدرك أى الاثنين أكثر فاعلية فى تغيير أخلاق السامع حالا ، وأيهما يقسى قلبه فى شره . لاحظ أيضاً أن جماعة كُتابك لا يظهرون أى اهتمام بمن يقرأون كتبهم دون أى فهم عميق ، لكنهم كتبوا فلسفتهم (كما

(١) Thrasymachus

تسمونها) للقادرين على فهم معناها الرمزى والاستعارى . أما موسى فإنه ، ككاتب ممتاز فصيح يأتى بألفاظ ذات معنيين ، فقد فعل هكذا فى كتبه الخمسة . ففى أية ناحية تتعلق " بالأخلاقيات لم يعط أية إشارة لمواضيعه اليهودية عن ارتكاب الشر ، ولم يقدم للأفراد القلائل الموهوبين بحكمة أعظم ، القادرين على فحص معانيه ، أية كتابات خالية من مادة للتأمل .

« أما شعراؤكم المتعلمون فيبدو أن نفس كتاباتهم لن يكتب لها البقاء ، مع أنها كان يمكن أن تبقى لو كان القراء قد وجدوا فيها أية منفعة ، بينما تجد أن كتابات موسى قد أنهضت الكثيرين ، حتى من الغرباء عن عوائد اليهود ، وجعلتهم يعتقدون بأن هذه تشهد أن أول من وضع هذه الشرائع وسلمها لموسى هو الله خالق العالم . لأنه لاق بخالق المسكونة ، بعد أن وضع نواميس لضبطها ، أن يضع فى كلماته قوة تخضع كل البشر فى كل أرجاء الأرض .

« وهذا ما أردت أن أؤكده ، إذ لم أدخل إلى الآن فى أية مناقشة عن يسوع ، بل لازلت أبين أن موسى ، الذى هو أقل أهمية جداً من الرب ، أسمى جداً من شعرائكم وفلاسفتكم الحكماء ، كما سيبينه هذا البحث » .

الفصل التاسع عشر

بعد هذه الأقوال أشار كلسس إلى أنه يتفق مع مَن يعتقدون بأن العالم غير مخلوق ، وذلك لرغبة خفية بأن يشكك فى رواية موسى عن الخليقة التى تنادى بأن عمر العالم لم يصل بعد إلى عشـرة آلاف سنة ، بل أقل من ذلك كثيراً ، بينما كان يخفى رغبته . فإنه إذ أكد بأنه كانت هنالك منذ الأزل حرائق كثيرة وفيضانات كثيرة ، أو أن الطوفان الذى حدث أخيراً فى عصر « ديوكاليون » (١) حديث العهد نسبياً ، أعلن بوضوح للقادرين على فهمه أن العالم - فى رأيه - غير مخلوق .

لكن ليخبرنا هذا المهاجم للإيمان المسيحى عن تلك الحجج التى أضطرته للقبول تلك الأقوال بأنه كانت هنالك حرائق كثيرة وطوفانات كثيرة ، وأن الطوفان الذى حدث فى عصر ديوكاليون ، والحريق الذى حدث فى عصر فيثون (٢) كانا أكثر حداثة من غيرهما . وإذا قدم محاورات أفلاطون كدليل على هذه الأمور فإننا نقول له إنه من المسموح لنا نحن أيضاً أن نؤمن بأنه كان يسكن فى نفـس موسـى الطاهرة النقيـة روح إلهى أسـمى من كل

---

(١) Deucalion

(٢) Phaethon

المخلوقات ، واتحده مع خالق المسكونة ، وأعلن الإلهيات بوضوح أكثر من أفلاطون أو الحكماء الآخرين الذين عاشوا بين اليونانيين والرومانيين . وإذا ما طلب منا أدلتنا عن هذا الإيمان فليقدم هو أولاً الأساسات التى بنى عليها اعتقاداته الواهية ، وبعدئذ نبين أن رأينا هذا هو الصحيح .

الفصل العشرون

ومع ذلك فقد تورط كلسس - رغم إرادته - فشهد بأن العالم حديث العهد نسبياً ، ولم يصل عمره بعد إلى عشرة آلاف سنة ، وذلك عندما قال إن اليونانيين يعتبرون هذه الأشياء قديمة لأنهم أكثر لم يروا ولم يتقبلوا أية آثار عن حوادث أقدم عهداً من الطوفانات والحرائق . وليتخذ كلسس - كمرجع له عن الاسطورة الخاصة بالحرائق والفيضانات - أولئك المصريين الذين يعتقد أنهم أكثرالناس علماً ، والذين توجد آثار لحكمتهم فى عبادة الحيوانات غير العاقلة ، وفى الحجج التى تبرهن أن عبادة الله تتمشى مع العقل ، وأنها ذات صفة سرية خفية .

إذن فعندما يقرر المصريون - مفتخرين - ألوهية الحيوانات ، فانهم يُعتبرون حكماء ، أما إذا نسب أى يهودى - متمسك

بالناموس وواضع الناموس - كل شيء لخالق المسكونة ، الله الوحيد ، فإنه - فى نظر كلسس ومن يماثلونه - يعتبر أدنى ممن يحط من قدر اللاهوت ليس فقط إلى مستوى الحيوانات العاقلة الفانية ، بل حتى إلى مستوى الحيوانات غير العاقلة . وهذا رأى أبعد جداً من العقيدة الخرافية عن تناسخ الأرواح ، التى بمقتضاها تسقط النفس من أعلى السماء ، وتدخل فى جسم الحيوانات غير الناطقة ، الأليفة والمتوحشة .

وإذا ما روى المصريون خرافات كهذه قيل عنهم بأنهم ينقلون معانى فلسفية بألغازهم وغوامضهم . أما إذا دوّن موسى مؤلفات تاريخية وشرائع لأمة كاملة وتركها وراءه ، اعتبرت خرافات فارغة لا يوجد فى ألفاظها أى معنى مجازى .

الفصل الحادى والعشرون

وهاك رأى كلسس والأبيقوريين . فإنه يقول :

« إن موسى إذ تعلم التعاليم الموجودة بين الأمم الحكيمة والناس الحصفاء اشتهر بأنه لاهوتى » .

ورداً على هذا نقول بأنه من الجائز أن يكون موسى قد سمع فعلا تعاليم قديمة ، ونقلها إلى العبرانيين ، وأنه إذا كانت التعاليم التى سمعها كاذبة ، وليست نقية ولا وقورة ، وإن كان رغم هذا قد

قبلها ونقلها لمن هم تحت سلطانه ، فإنه يعرض للتوبيخ واللوم . أما إذا كان - كما تؤكد أنت - قد تمسك بالآراء الحكيمة الصادقة ، وعلم شعبه بمقتضاها ، فأرجوك أن تقول ماذا فعله لكى يستحق التوبيخ واللوم ؟

أود لو يكون أبيقور وأرسطوطا ليس ، الذى تعتبر عواطفه نحو العناية الإلهية أقل وقاراً ، والرواقيون الذين يؤكدون أن الله جسد ، إذن فما كان العالم قد أمتلأ بالآراء التى ترفض أو تضعف من عمل العناية الإلهية ، قد سمعوا هذه التعاليم ، لكى لا يمتلىء العالم بتعليم ينكر العناية الإلهية ، أو يصورها بأنها محدودة ، أو ينادى بمبادىء فاسدة مادية ، تقضى بأن إله الرواقيين جسد ، ولا يخجلون أن يقولوا عنه إنه قابل للتغيير ، وقد تتغيير وتتبدل كل أجزائه ، وإنه بصفة عامة قابل للفساد ، إن وُجد ما يفسده ، لكنه حظى بأن ينجو من الفساد لعدم وجود ما يفسده .

أما عقيدة اليهود والمسيحيين ، التى تنادى بعدم تغير الطبيعة الإلهية ، فإنها توصم بأنها فاسدة ، لأنها لا تشترك فى إلحاد ودنس أولئك الذين توصم آراؤهم عن الله بأنها فاسدة . ولأنها تقول عند التضرع إلى الله « أنت هو » (١) ، فقد صارت مادة للإيمان أن الله قال « أنا الرب لا أتغـير » (٢) .

---

(١) مـز ١٠٢ : ٢٧ ، « أنـت أنـت » حسب ترجمة اليسـوعيين ، « أنت هو هو » أى بدون تغيير ، حسب الترجمة الانكليزية .
(٢) ملا ٣ : ٦ .

الفصل الثانى والعشرون

بعد هذا أكد كلسس أن عادة الختان مقتبسة من المصريين دون مهاجمة اليهود لممارستهم إياها . وهكذا صدق المصريين أكثر من تصديقه لموسى ، الذى قال إن إبرهيم هو أول من مارس هذا الطقس بين البشر ولم يكن موسى وحده هو الذى ذكر اسم إبرهيم ، ناسباً إليه دالة عظيمة مع الله ، بل هنالك أيضاً الكثيرون الذين يتصلون بالأرواح الشريرة عن طريق التعزيم ، ويذكرون فى تعزيمهم هذا التعبير « إله إبرهيم » ، مشيرين بهذه التسمية ذاتها إلى الصداقة التى كانت بين ذلك الرجل البار والله .

ومع ذلك فإنهم إذ يستخدمون هذا التعبير « إله إبرهيم » ، لا يعرفون منَ هو إبرهيم . وتنطبق نفس الملاحظة على إسحق ، ويعقوب ، وإسرائيل . ورغم أنه من المسلم به أن هذه الأسماء عبرانية فإنه يرددها كثيراً أولئك المصريون الذين يعترفون بأنهم يحصلون على نتائج باهرة عن طريق علمهم .

وعلى أى حال فإن طقس الختان الذى بدأ به إبرهيم ، وألغاه يسوع ، الذى أراد أن لا يمارسه تلاميذه ، ليس موضوع بحث أمامنا ، لأن المناسبة الحالية لا تسـمح لنا بالتحدث عن أمور كهذه ، بل يبذل الجهد للرد على التهم التى يوجهها لتعاليم اليهود

كلسس ، الذى يتوهم بأنه يقدر بأكثر سهولة أن يثبت بطلان المسيحية ، إذا ما أستطاع إثبات كذبها بمهاجمة اليهودية التى هى أصلها .

الفصل الثالث والعشرون

بعد ذلك أكد كلسس أن « أولئك الرعاة ، رعاة المواشى ورعاة الغنم ، الذين تبعوا موسى كقائد لهم ، خدعت عقولهم بتلك الأضاليل الدنيئة ، فافترضوا أنه يوجد إله واحد » . إذن فليبين كيف بعد هذا التحول غير المعقول (كما يعتبره) ، أى تحول رعاة المواشى ورعاة الغنم عن عبادة آلهة كثيرة ، استطاع هو نفسه أن يوافق على تعدد الآلهة الموجودة بين اليونانيين ، أو بين الأمم الأخرى التى تدعى بربرية . لذلك فليوافق على وجود منيموسين (١) أم آلهة الفنون الجميلة من زفس ، أو وجود ثيميس (٢) أبى الساعات . أو ليبرهن إن كانت النعم الواضحة جداً يمكن أن يكون لها وجود مادى حقيقى .

لكنه لا يستطيع أن يبين ، من أية تحركات لهذه الصور الوهمية التى لليونانيين ، والتى لها المظهر بأنها ليست أجساداً ، أنها آلهة

---

(١) mnemosyne (٢) Themis

حقاً . ولماذا تعتبر خرافات اليويانيين عن الآلهة بأنها صادقة أكثر من خرافات المصريين مثلا ، الذين لا يعرفون شيئاً عن منيوسين أم تسعة آلهة الفنون الجميلة ، ولا عن ثيميس والد الساعات ، ولا عن يوفروسين (١) إحدى النعم ، ولا عن أى أسم من تلك الأسماء ؟

أليس أكثر وضوحا (أو ليس أفضل جداً من كل هذه الاختراعات) أننا إذ نقتنع بما نرى فى نظام العالم البديع يجب أن نعبد خالقه ، كمنشىء كل موجود ؟ فذلك العالم المتناسق كلية مع نفسه لا يمكن أن يكون صنع صناع كثيرين .

ويجب أن نؤمن بأن السماء كلها لا تضبطها تحركات أرواح كثيرة لأن روحاً واحداً يكفى ، وهو الذى يحمل كل الدائرة الثابتة من الشرق إلى الغرب ، ويوجد فيها كل ما يتطلبه العالم مما لم يوجد نفسه بنفسه . فالكل أجزاء من العالم ، أما الله فليس جزءاً من الكل . والله لا يمكن أن يكون غير كامل ، كما أن الجزء غير كامل . ولعل التأمل الأعمق يبين أنه كما أن الله ليس جزءاً ، فهو أيضاً ليس الكل ، طالما كان الكل مكونا من أجزاء . والمنطق لا يسمح لنا بالاعتقاد أن الله ، الذى هو فوق الكل ، مكون من أجزاء لا يقدر كل منها أن يفعل ما تفعله كل الأجزاء الأخرى .

---

(١) Euphrosyne

الفصل الرابع والعشرون

بعد هذا استمر يقول :

« واستنتج رعاة المواشى ورعاة الغنم هؤلاء أنه يوجد إله واحد فقط يُدعى الأعلى ، أو الرب (أدوناى) ، أو السماوى ، أو رب الجنود أو أى أسم آخر من تلك الأسماء التى يسرون بأن يطلقوها على هذا العالم ، ولم يعرفوا شيئاً أكثر من هذا »

وفى موضع تال من كتابه يقول « إن كان الله ، الذى هو فوق الكل ، يدعى باسم زفس ، المتداول بين اليونانيين ، أو بالاسم المتداول بين الهنود ، أو بالاسم المتداول بين المصريين ، فهذا لا يختلف عن ذاك » .

ورداً على ذلك نقول إن هذا يتضمن موضوعاً عميقاً غامضاً ، أى عن طبيعة الأسماء . وموضوع التساؤل هو : هل تطلق الأسماء بتدبير تعسفى كما يرى أرسطوطاليس ، أم بالطبيعة كما يرى الرواقيون ، فالكلمات الأولى تقليد للأشياء الموصوفة ، وتتفق مع أسمائها وتقدم مبادىء معينة لعلم الصرف أو الاشتقاق ، أم إن الأسماء تطلق بالطبيعة ، كما يرى أبيقور (وهو فى هذا يختلف عن الرواقيين) ، فالرجال الأولون نطقوا بكلمات معينة تختلف عن الظروف التى وجدوا أنفسهم فيها .

إذن فإن استطعنا – فى ضوء الأقوال السابقة – أن نحدد طبيعة الأسماء القوية ، التى يستخدم بعضها علماء المصريين ، أو المجوس فى بلاد الفرس ، وفلاسفة الهنود الذين يدعون براهمة ، أو أتباع سمانى (١) ، وغيرهم فى الممالك المختلفة ، وإن استطعنا أن نكتشف بأن ما يدعى سحراً ليس كما يتوهم أتباع أبيقور وأرسطوطاليس ، شيئاً غير محقق كلية ، بل هو ، كما يبرهن الخبـراء فيه ، نظام متماسك ، له أقوال لا يفهمها إلا القليلون جداً ، فعندئذ نقول إن أسـم رب الجنود (صـاباؤوت) والـرب (أدوناى) والأسماء الأخرى التى يرددها العبرانيون بكل وقار ، لا تنطبق على أى مخلوق عادى ، بل تتصل بلاهوت سرى يشير إلى خالق كل الأشياء .

بناء على هذا فعندما يُنطق بهذه الأسماء فى سلسلة الظروف المتصلة بها التى تلائم طبيعتها ، فإنها تكتسب قوة عظيمة . ثم إن الأسماء الأخرى أيضاً ، المتداولة فى اللغة المصرية ، لها فاعليتها ضد بعض الشياطين التى تقدر أن تتمم أعمالا معينة فقط . والأسماء الأخرى فى اللغة الفارسية لها قوة مماثلة على أرواح أخرى . وهكذا الحال فى كل أمة لأغراض مختلفة .

هكذا يتضح أن كلا من الشياطين المختلفة على الأرض ، التى حددت لهـا أماكن مختلفة ، يحمل أسـماً يتفق مع لهجـة الأمكنة

---

(١) Samanaens

والبلاد المختلفة . لذلك فكل من كانت له فكرة نبيلة عن هذه الأمور ، مهما كانت صغيرة ، يحرص على إطلاق الأسماء بدقة فى مناسباتها الخاصة ، لئلا يشبه من يخطئون فيطلقون أسم الله على المادة عديمة الحياة ، أو الذين يجردون خالق الجميع من لقب « الصالح » ، أو يجردون الفضيلة والسمو منه ، ويطلقونه على الثروة العمياء ، أو على مزيج من اللحم والدم والعظام عندما نكون فى صحة جيدة وقوة شديدة ، أو على ما يعتبر شريف المولد .

الفصل الخامس والعشرون

ولعل الخطر الناشىء من أن يحط المرء من قدر أسم « الله » ، أو « الصالح » باطلاقهما على أشياء غير لائقة ، لا يقل عن الخطر الناشىء من تغيير الأسماء التى تتفق طبيعتها مع مبدأ سرى معين ، وأطلاق أسماء الأشياء الأدنى على الأشياء الأسمى ، والعكس . وأنا لا أود أن أطيل الشرح فى أنه عندما يذكر أسم زفس يُسمع فى نفس الوقت أسم ابن كرونوس وريا (٢) ، وأسم زوج هيرا (٣) ، وأسم شقيق بوسيدون (٤) ، واسم والد أثينى (٥) ، وأسم ارطاميس (٦) الذى ارتكب جريمة الفسق مع

---

(١) Plutus (٢) Kronos and Rhea (٣) Hera
(٤) Poseidon (٥) Athene (٦) Artemis

ابنته برسيفون (١) . ولا أود التحدث عن أن ابولو ذكر بعد ذلك مباشرة ابن ليتو وزفس ، وشقيق أرطاميس ، وشقيق هرمس (٢) ، وهكذا الحال مع كل الأسماء الأخرى ، التى اخترعها هؤلاء الحكماء أتباع كلسس ، الذين ابتدعوا هذه الآراء ، واللاهوتيون اليونانيون هؤلاء . لأنه ما هى الأساسيات التى يبنى عليها أنه يليق بأن يسمى زفس ، وفى نفس الوقت لا يذكر بأن أباه هو كرونوس ، وأمه هى ريا ؟ وتنطبق نفس الحجة على كل الآخرين الذين يدعون آلهة .

لكن هذه التهمة لا تنطبق مطلقاً على مَن ينسبون - لسبب سرى - كلمة صاباؤوت (رب الجنود) ، أو أدوناى (الرب) ، أو أى أسم من الأسماء الأخرى ، لله الحق .

وعندما يقدر المرء أن يتفلسف بصدد أسرار الأسماء فإنه يجد الكثير ليقوله عن ألقاب ملائكة الله ، الذين دعى أحدهم ميخائيل ، والآخر جبرائيل ، والآخر رافائيل ، وفقاً للمهام التى يقومون بها فى العالم ، ووفقاً لإرادة إله الكل .

وثمت فلسفة مماثلة للأسماء تنطبق أيضاً على ربنا يسوع ، الذى وُجد أن أسمه طرد - بكيفية لا تخطىء - ربوات من الأرواح الشريرة من نفوسٍ وأجساد البشر ، وكانت عظيمة جداً تلك القوة التى أظهرها فى مَن طردت منهم تلك الأرواح .

---

(١) Persephone (٢) Hermes

وما دمنا لازلنا فى صدد موضوع الأسماء فيجب أن نذكر أن الذين برعوا فى استخدام التعزيم يذكرون بأن النطق باسم هذا التعزيم يقدر أن يفعل ما يعترف السحر بأنه يفعله . لكن عندما يتـرجم إلى أية لغة أخرى فيلاحظ بأنه يصير ضعيفاً وعديم التأثير . وهكذا لا تكون للأشياء المعنية قوة معينة لهذا الغرض أو ذاك ، بل لصفات وخاصيات الكلمات .

وعلى مثل هذه الأساسات ندافع عن تصرفات المسيحيين عندما يجاهدون حتى الموت رافضين أن يدعوا باسم زفس ، أو يطلقوا عليه أى أسم من أية لغة أخرى . أما أن يستخدموا الأسم الشائع « الله » بدون تحديد ، أو يضيفوا إليه أية إضافة أخرى مثل « خالق كل الأشياء » أو « خالق السماء والأرض » ، ذاك الذى أرسل إلى الجنس البشرى أولئك الرجال الصالحين ، الذين إذ أضيف إلى أسمائهم أسم الله صنعت قوات بين البشر .

ويمكن أن يذكر أيضاً أكثر من هذا عن موضوع الأسماء ضد من يظنون أننا يجب أن لا نبالى باستخدامنا إياها . وإن كانت ملاحظة أفلاطون فى كتابه « فيلبس (١) » تـزعجنا عندما يقـول « إن خوفى ، يابروتاجـوراس (٢) ، بصدد أسـماء الآلهة ليس هينــاً » ، إذ رأى أن فيلبــس فى مناقشة مع ســقراط دعا اللذة

---

(١) Philebus

(٢) Protagoras

« إلهاً » ، فكيف لا نمتدح تقوى المسيحيين الذين لا يطلقون على خالق العــالم أى أسم من الأســماء المستخدمة فى الميثولوجيات (أساطير أو خرافات الأقدمين) .

وإلى هنا نكتفى بما ذكر فى هذا الموضوع .

الفصل السادس والعشرون

ولنتأمل فى الكيفية التى بها يوجه كلسس هذا - الذى يدعى بأنه يعرف كل شىء - تهمة باطلة ضد اليهود عندما يزعم بأنهم « يعبدون الملائكة ، ومنغمسون فى السحر الذى لقنه لهم موسى » . ليقل لنا هذا الذى يدّعى بأنه يعرف كل شىء عن المسيحية واليهودية : فى أى جزء من كتابات موسى وجد هذا المشرّع ينصح بعبادة الملائكة . وليبين لنا أيضاً كيف يمكن أن يوجد السحر بين من قبلوا ناموس موسى وقرأوا الوصية « لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم » (١) . وعلاوة على هذا فقد وعد بأن يبين فيما بعد « كيف أن اليهود بسبب الجهل خدعوا وسقطوا فى الضلالات » .

---

(١) لاويين ١٩ : ٣١ .

فإن كان قد أكتشف أن جهل اليهود للمسيح كان نتيجة عدم سماعهم النبوات عنه ، فقد بين حقاً سقط اليهود فى الضلالات . لكنه رأى ضلالات يهودية حيث لا توجد ضلالات على الاطلاق دون أن يريد بأن يظهر هذا .

وإذ وعد كلسس بأن يُعلمنا – فى موضع تالٍ من مؤلفه – بتعاليم اليهودية شرع يتحدث – بادىء ذى بدئ – عن مخلصنا بأن هو قائد جيلنا ، على أساس إننا مسيحيون ، ويقول : « منذ بضع سنوات قليلة بدأ ينادى بهذا التعليم ، إذ اعتبره المسيحيون ابن الله » .

أما عن هذه النقطة ، عن وجوده منذ بضع سنوات قليلة ، فإننا نبدى الملاحظات التالية : هل يمكن أن يحدث بدون مساعدة إلهية أن يسوع ، إذ أراد فى تلك السنوات أن ينشر أقواله وتعاليمه ، ينجح هكذا بحيث يعتنق تعاليمه فى كل مكان فى العالم أشخاص ليسوا قليلى العدد ، يونانيون وبرابرة ، متعلمون وجهلاء ، لدرجة أنهم كافحوا إلى الموت فى الدفاع عنها ، دون أن ينكروها ، الأمر الذى لم يفعله قط أى إنسان من أجل أية ديانة أخرى ؟

والواقع ، إننى ، لا رغبة فى تملق المسيحية ، بل فى فحص الحقائق ، فحصاً دقيقاً ، أقول إن المنشغلين بشفاء مرضى كثيرين لا ينالون بغيتهم أى شفاء الجسد ، بدون معونة إلهية . وإذ ما نجح المرء فى إنقاذ النفوس من شرور كثيرة ، ومن الفجور

والدعارة ، ومن أعمال الظلم ، ومن الازدراء بالله ، وأراد أن يقدم – كدليل على مثل هذه النتيجة – مائة شخص تحسنت طبيعتهم (ولنفترض أن العدد كثير جداً) فلا يمكن أن يقول أحد منطقياً بأنه غرس فى هؤلاء المائة شخص تعاليم قادرة على استئصال شرور كثيرة كهذه بدون مساعدة إلهية .

وإن اعترف أى امرىء – بعد تأمل دقيق فى هذه الأمور – بأنه لا يمكن أن يتم تغيير بين البشر بدون مساعدة إلهية ، فبالأولى جداً يؤكد نفس التأكيد بخصوص يسوع ، إذن يقارن بين حياة الكثيرين من المتجددين قبل قبول تعاليمه ، وحياتهم بعد التجديد ، ويتأمل فى الرذائل والمظالم والمطامع التى كانوا منغمسين فيها قبلا ، إلى أن « خدعوا » – كما زعم كلسس ومَن يماثلونه – وقبلوا تعاليم هدامة لحياة البشر ، كما يؤكد هؤلاء الأشخاص .

لكن هؤلاء المتجددين صاروا – منذ قبول تلك التعاليم – أكثر وداعة ، وأكثر تديناً ، وأكثر ثباتاً ، حتى أن البعض منهم ، رغبة فى المزيد من العفة ، ورغبة فى عبادة الله بطهارة أوفر ، يمتنعون حتى عن التمتعات المسموح بها فى المحبة المشروعة .

الفصل السابع والعشرون

وكل مَن يفحص هذا الموضوع يتبين أن يسوع أتم بنجاح أعمالا فوق طاقة البشر . فرغماً عن أن كل الأشياء قاومت من البدء انتشار تعاليمه فى العالم – سواء كان ملوك ذلك الزمان ، أو

ولاتهم وحكامهم ، وبالاجمال جميع ذوى النفوذ الأقل ، وبالإضافة إلى هؤلاء رؤساء المدن المختلفة ، والجنود ، والشعب – فقد انتصرت كلمة الله ، لأن طبيعتها لا يمكن أن تقهر ، وصارت أقوى من كل خصومها ، وسادت على كل بلاد اليونان ، وجزء كبير من البلاد البربرية ، وغيرت عدداً لا يحصى من النفوس ، وضمتهم إلى ديانته . ومع أنه بين المنضمين إلى المسيحية زاد عدد البسطاء والجهلاء عن المتعلمين ، لأن الطبقة الأولى تزيد دواماً عن الثانية ، فإن كلسس لم يرد أن يلاحظ هذا ، وظن أن هذه التعاليم المحبة للبشر التى تصل كل إنسان تحت الشمس سافلة دنيئة ، وبسبب سفالتها وانعدامها من القدرة على المناقشة بتعقل ، تسلطت على الجهلاء فقط . ومع ذلك فإنه هو نفسه اعترف بأنه لم يكن البسطاء فقط هم الذين انساقوا بتعاليم يسوع لاتباع ديانته ، لأنه اعترف بأنه كان بينهم البعض من ذوى الذكاء المتوسط ، والأمزجة الرقيقة ، وذوى القدرة على الفهم ، والقدرة على إدراك المجاز والاستعارات .

الفصل الثامن والعشرون ٢

وكما إنه اقتداء بالمتضلع فى علم البلاغة الذى يعلم تلميذاً – أبرز يهودياً دخل فى مناقشة شخصية مع يسوع ، وتكلم بطياشة بالغة لا تليق بشيخوخة فيلسوف ، فدعنى أحاول ، بكل ما فىّ من

قدرة ، فحص أقواله ، وأبين أنه لا يتمسك أثناء المناقشة بالمثابرة اللائقة بصفات اليهود . فقد مثله يناقش يسوع ، ويخطئه - كما يتوهم - فى نواح كثيرة .

وفى بادىء الأمر اتهمه بأنه « أخترع موضوع ميلاده من عذراء » ، وغيره بأنه « ولد فى قرية يهودية معينة من امرأة فقيرة فى تلك البلاد ، كانت تحصل على معيشتها من الغزل ، وطردها زوجها النجار لاتهامها بالزنى . وبعد أن طردها زوجها ، وهامت على وجهها وقتاً ما ، ولدت يسوع فى خزى وعار . وهو طفل غير شرعى . وإذا استؤجر فى مصر كخادم بسبب فقره ، وإذ حصل هناك على قوة لإجراء المعجزات ، تلك القوة التى يفتخر بها المصريون ، عاد إلى وطنه ، منتفخاً جداً بسببها ، وبواسطتها أعلن إنه إله » .

ولأننى لا أقدر أن أسمح لأى شىء يقوله غير المؤمنين بأن يبقى دون فحص ، بل يجب أن أفحص كل شىء منذ البداية ، فإننى أعطى رأى بأن كل هذه الأشياء تتفق تماماً مع النبوات بأن يسوع هو ابن الله .

الفصل التاسع والعشرون

فالولادة تساعد على أن يكتسب المرء شهرة ، ويصير مركزه بارزاً ، ويتحدث عنه ، أعنى إذا كان والدا المرء فى مركز ممتاز له تأثيره ، يمتلكان ثروة جزيلة ، ويقـدران أن ينفقاها فى تربية

ابنهما ، وعندما تكون البلاد التى ولد فيها المرء عظيمة وبارزة . لكن عندما تكون كل هذه فى غير مصلحته ، ويستطيع رغم هذه المعطلات ، أن يجعل نفسه معروفاً ، وذا تأثير على من يستمعون إليه ، ويصير بارزاً ومنظوراً لكل العالم ، فيتحدث عنه العالم بغير ما أعتاد أن يتحدث عنه من قبل ، فإننا لا نملك إلا أن نعجب بطبيعة كهذه على أسـاس أنها نبيلة فى حد ذاتهـا ، وتكرس ذاتها لأعمـال عظيمة ، حاصلة على شجاعة لا يمكن احتقارها بـأى حال ؟

وإذا ما فحص المرء تاريخ شخص كهذا بأكثر تدقيق فلماذا لا يسعى ليعرف كيف بعد أن تربى فى حالة العوز والفقر ، ودون أن يتلقى تعليماً كاملاً ، ودون أن يدرس النظم والآراء التى يحصل بها على الثقة ليختلط بالجماهير ، ويتزعم الشعب ، ويجذب لنفسه جماهير كثيرة ، فإنه رغم ذلك عكف على تعليم آراء جديدة ، مقدماً للبشر تعليماً لم يهدم عوائد اليهود فقط ، مع احترامهم الكامل لأنبيائهم ، بل هدم بصفة خاصة عوائد اليونانيين فيما يتعلق باللاهوت ؟

وكيف أمكن لشخص كهذا ، نشأ نشأة كهذه ولم يتعلم شيئاً عظيماً من البشر كما يشهد ثالبوه ، أن ينال قدرة على أن يعلم - بكيفية لا يمكن الاستهانة بها قط - مثل تلك التعاليم التى كرز بها بخصوص الغضب الإلهى ، والقصاص الذى يلحق بالشر

والجزاء الذى يغدق على الفضيلة . وهكذا لم يربح بكلامه السذج والجهلاء فقط ، بل عدداً ليس بقليل ممن اشتهروا بحكمتهم ، الذين استطاعوا أن يدركوا المعانى الخفية فى التعاليم البسيطة - كما كان ينظر إليها - المتداولة ، التى كانت تنطوى تحتها معانى خفية غامضة ؟

أما السريفى (١) ، الوارد ذكره فى كتاب أفلاطون ، الذى عيّر ثيميستو كليس (٢) بعد أن اشتهر بمهارته الحربية ، قائلا إن شهرته لم تكن تعزى لجدارته ، بل لحظه الطيب لأنه ولد فى المملكة المشهورة جداً أى اليونان ، فقد تقبل الرد التالى من الاثينى الطيب القلب ، الذى رأى أن موطنه هو باعث شهرته : « لو كنت أنا سريفياً لما اشتهرت مثل ما أنا عليه الآن ، ولما كنت أنت ثيمستوكليس ، حتى لو كنت قد حظيت بأن تكون أثينياً » .

والآن ، إن مسيحنا الذى عُيّر لأنه ولد فى قرية ، ولم يكن يونانياً ولا منتسباً لأمة محترمة ، بل كان مزدرى به لأنه ابن امرأة عاملة فقيرة ، ولأنه بسبب فقره ترك وطنه وعمل أجيراً فى مصر ، ولم يكن سريفياً فقط ، كما سبق ذكره ، بل من مواطنى جزيرة صغيرة خاملة الذكر ، وكان أحقر السريفين ، لكنه مع ذلك استطاع أن يهز كل العالم المأهول ، ليس فقط بدرجة أسمى جداً

---

(١) Seriphian أى تابع سريف

(٢) Themistocles

مما فعل ثيمستوكليس اليونانى ، بل أسمى جداً حتى مما فعل فيثاغوراس ، أو أفلاطون ، أو أى حكيم آخر فى أى جزء من أجزاء العالم ، أو أى ملك أو قائد (١)

الفصل الثلاثون

ألا تذهل نصرة هذا الرجل كل مَن يفحص طبيعة هذه الأمور ؟

ألا يذهل من نجاحه الكامل فى التغلب بسمعته على كل الأسباب التى كانت تشين سمعته ، ومن تفوقه على كل الأشخاص الآخرين الذين برزوا فى العالم ؟ ومع ذلك إنه أمر نادر جداً أن ينجح الأشخاص البارزون فى الحصول على شهرة من أجل أمور كثيرة فى وقت واحد . فالواحد ينال الأعجاب بسبب حكمته ، والآخر بسبب ذكائه الحربى ، وبعض البرابرة بسبب قدرتهم العجيبة فى التعزيم ، البعض لهذه الصفة ، والآخرون لصفة أخرى . لكن لا يوجد كثيرون اشتهروا وأعجب بهم بسبب صفات كثيرة فى نفس الوقت .

---

(١) قال ناشر الترجمة الانكليزية إن هذا الفصل اعتبره جيون (Guillon) فى كتابه المشهور .

والمطبوع فى بروكسل سنة ١٨٢٨ عينة من البلاغة المسيحية .

أما هذا الإنســان فإنه ، بالإضافة إلى جدارته فى نواح أخرى ، نال الإعجاب بسبب حكمته ، ومعجزاته ، وبسبب قدرته على القيادة . فقد اقنع البعض لكى يتحللوا من شرائعهم ، ويلازموه ، لا كما يفعل الطغاة ، أو اللصوص الذين يسلمون أتباعهم ضد الناس ، ولا كرجل غنى يقدم المعونة لمن يأتون إليه ، ولا كأحد الذين يستحقون اللوم يقيناً بل كمعلم للتعاليم المتعلقة بإله الكل ، وللعبــادة التى تتعلق به ، ولكل الوصــايا الأدبية القــادرة على أن تضمن رضا الله العلى على مَن يعيش بحسب هذه التعاليم .

لكن لم يحدث يسىء سمعته ثيمستوكليس أو أى شخص بارز آخر . أما هذا الإنسان ، فعلاوة على ما سبق أن ذكرناه ، مما يكفى لكى يعيب نفس أعظم إنسان . فقد مات موت الصليب المهين جداً ، الذى كان يكفى لكى يغطى مجده السابق ، ويجعل الذين سبق أن خدعهم يتركون ضلالتهم (كما يؤكد الذين تركوا تعاليمه) ، ويصدروا حكماً بدينونة مَن أضلهم .

الفصل الحادى والثلاثون

وعلاوة على هذا ، فإن المرء ليعجب كيف حدث أن التلاميذ - إن كانوا لم يروا المسيح بعد قيامته من الأموات (كما يقول المفترون على يســـوع) ، ولم يقتنعوا بلاهوتــه - لم يخشوا أن

يتحملوا نفس الآلام التى احتملها معلمهم ، بل عرضوا أنفسهم للخطر ، وتركوا أوطانهم ليكرزوا - كرغبة يسوع - بالتعاليم التى سلمها لهم . لأننى أعتقد بأنه لا يمكن لإنسان - يفحص الأمور بإخلاص - أن يقول بأن هؤلاء الناس كرسوا أنفسهم لحياة خطرة من أجل تعاليم يسوع دون إيمان عميق غرسه فى عقولهم بصحتها . وهو لم يعلمهم فقط بأن يعيشوا حسب وصاياه ، بل علم غيرهم أيضاً ، ويعيشوا حسب وصاياه أيضاً عندما يهدد الخطر بهلاك حياة ذاك الذى تجاسر على إدخال هذه الآراء الجديدة إلى كل مكان ، وإلى كل المستمعين ، والذى لا يمكن أن يبقى على صداقة أى إنسان يتمسك بالآراء السابقة والعادات السابقة.

لأنه ألم ير تلاميذ يسوع ، عندما تجاسروا على أن يبرهنوا ، ليس فقط لليهود من كتبهم النبوية أن هذا هو الذى تكلم عنه الأنبياء بل أيضاً للأمم الأخرى الوثنية ، أن من صُلب بالأمس ، أو أول أمس تحمل هذا الموت اختيارياً نيابة عن الجنس البشرى - ألم يروا بأن هذا يماثل حالة الذين ماتوا من أجل بلادهم لإنقاذها من الأوبئة أو القحط أو العواصف ؟ لأنه قد يكون فى طبيعة الأشياء- لأسباب غامضة لا يفهمها عامة الشعب - قوة تجعل إنساناً باراً واحداً ، يموت موتاً اختيارياً من أجل الخير العام ،

واسطة فى طرد الأرواح الشريرة التى تسبب الأوبئة أو القحط ، أو العواصف ، أو النكبات المماثلة .

فليقل إذن أولئك الذين يكذبون الحقيقة بأن يسوع مات على الصليب نيابة عن البشر ، عما إذا كانوا أيضاً يرفضون أن يقبلوا الروايات الكثيرة المتبادلة بين اليونانيين والبرابرة عن أشخاص بذلوا حياتهم من أجل المصلحة العامة ، لإزالة تلك الشرور التى حلت بالمدن والممالك ؟

أم هل يقولون بأن مثل هذه الأحداث قد حدثت فعلا لكن لا يمكن أن يصدق بأن هذا الشخص المزعوم مات لكى يضمن إبادة ذلك الروح الشرير العاتى ، زعيم الأرواح الشريرة ، الذى استعبد نفوس كل البشر على الأرض ؟ وإذ رأى تلاميذ يسوع هذا وأكثر منه (ولعلهم تعلموه من يسوع سراً) ، وامتلأوا قوة إلهية (لأن الذى مدهم بالقوة والشجاعة لم يكن مجرد عذراء توهمها أحد الشعراء ، بل حكمة الله الحقيقية وعلمه) أتمت كل جهودهم لكى يصيروا بارزين بين كل البشـــر ، ليس فقط بين الإغريقيين ، بل بين كل اليونانيين والبرابرة على الســـواء ، وهكذا يفوزون بسـمعة مجيدة .

الفصل الثانى والثلاثون

ولنعد الآن إلى كيف قدم كلسس ذلك اليهودى الذى تحدث عن أم يسوع قائلا إنها « عندما حبلت طردها النجار الذى كانت مخطوبة له لأنها اتهمت بالزنى ، وأنها ولدت طفلا لعسكرى معين يدعى بانثيرا (١) » ، ولنر إن كان أولئك الذين لفقوا فى عماهم هذه الخزعبلات عن زنى العـذراء مع بانثيرا ، وعن نبذ النجار لها ، قد اخترعوا هذه الأراجيف لكى يهدموا فكرة حبلها المعجزى بالروح القدس ، فقد كان يمكنهم أن يزوروا الرواية بطريقة أخرى بسبب طبيعتها المعجزية ، دون أن يعترفوا - رغم إرادتهم - بأن يسوع ولد نتيجة زواج غير عادى وغير بشرى .

كان متوقعاً فعلا أن الذين لم يريدوا الاعتقاد بميلاد يسوع المعجزى يخترعون أكذوبة . وكونهم لم يفعلوا هذا بكيفية قابلة للتصديق ، وتمسكهم بأن العذراء لم تحبل بيسوع من يوسف ، جعل الأكذوبة واضحة جداً لدى الذين يقدرون أن يدركوا ويتبينوا مثل هذه الاختراعات . وهل يتفق مع العقل والمنطق أن ذاك الذى تجاسر على أن يفعل كل هذا من أجل الجنس البشـرى لكى يبتعد

---

(١) Panthera

عن الشر كل اليونانيين والبرابرة ، الذين كانوا ينتظرون الدينونة الإلهية ، ويصلحوا سلوكهم بكيفية ترضى خالق العالم – هل يعقل أن ذاك لا يولد ولادة معجـزية ، بل يولد ولادة أقـــذر وأشنع من كل الولادات ؟

وإننى أسألهم كيونانيين ، بل أسأل بصفة خاصة كلسس ، الذى يتمسك أو لا يتمسك بآراء أفلاطون ويقتبسها ، عما إذا كان ذاك الذى يرسل الأرواح فى أجساد البشر يمكن أن يحط من مقام ذاك الذى كان يجب أن يتمم مثل تلك الأعمال الباهرة ، ويعلّم مثل ذلك العدد الوفير من البشر ، وينتشل العدد الوفير من الناس من الشر المنتشر فى العالم ، ويمكن أن يجعله يولد أشنع ولادة ، بدلا من أن يدخل إلى العالم عن طريق زيجة شرعية ؟

أو ألا يتفق بالأكثر مع العقل والمنطق أن كل نفس لأسباب معينة غامضة (وأنا الآن أتكلم وفق رأى فيثاغورس وأفلاطون وأمبدوكليس (١) الذين يذكرهم كلسس كثيراً) تدخل الجسد وفق ما تستحقه عن أعمالها السابقة ؟ فالأرجح إذن أن هذه النفس أيضاً التى منحت فوائد أكثر بإقامتها فى الجسد أكثر من جسد أشخاص كثيرين (ولتجنب التحيز لا أقول كل الأجساد) كانت فى انتظار جسد لا يسمو فقط على الأجساد الأخرى ، بل متشح بكل الصفات السامية .

---

(١) Empedocles

الفصل الثالث والثلاثون

وإن كانت هنالك نفس معينة ، لأسباب غامضة ، لا تستحق أن توجد فى جسد كائن خال خلواً تاماً من العقل ، أو فى جسد كائن عاقل لكن الجسد فظيع جداً ، بحيث لا يستطيع العقل أن يؤدى وظيفته فى جسد بهذا التكوين ، فالرأس لا تتناسب مع سائر الأعضاء لصغر حجمها جداً ، وإن وجدت هنالك نفس أخرى تحتل جسداً بحيث تكون أقل تفكير من غيرها ، وإن وجدت أيضاً نفس أخرى يكون جسدها غير قادر على تقبل قوة التفكير ، فلماذا لا توجد أيضاً نفس تتقبل جسداً معجزياً ذا صفات يشترك فيها أجساد سائر البشر ، لكى يتنقل فى الحياة مثلها ، لكنه يسمو عليها ، بحيث تبقى النفس غير ملوثة بالخطية ؟

وإن وجدت هنالك أية صحة فى عقيدة علماء الفراسة أن زوبيروس (١) أو لوكسوس (٢) أو بولمون (٣) ، أو أى واحد ممن كتبوا فى هذا الموضوع ، وممن يعترفون بأنهم يعرفون بكيفية عجيبة أن كل الأجساد تلائم عادات النفوس ، أكان ينبغى أن

---

(١) Zopyrus (٢) Loxus (٣) Polemon

يوجد لتلك النفس ، التى كان يجب أن تعيش بين البشر بقوة معجزية وتتمم أعمالا عظيمة ، جسد يتكون كما يتوهم كلسس - من عملية الزنى بين بانثيرا والعذراء ، لا شك فى أنه كان يجب أن ينشأ من معاشرة دنسة كهذه شخص أحمق يسىء للبشرية ، ويعلم الدنس والفجور وسائر الشرور الأخرى ، بدلا من أن يعلّم العفة والبر وسائر الفضائل الأخرى .

الفصل الرابع والثلاثون

لكن كان يجب - كما تنبأ الأنبياء أيضاً - أن يولد من عذراء ، وفق العلامة الموعود بها ، من يتفق اسمه مع حقيقة الأمر الواقع ، ويبين أنه وقت ميلاده يحل الله مع الناس . ويبدو لى أنه مما يتفق مع صفات ذلك اليهودى أن يقتبس نبوة إشعياء التى تقول بأن عمانوئيل كان يجب أن يولد من عذراء . وهذا ما لم يفعله كلسس ، الذى يدعى بأنه يعرف كل شىء ، وذلك إما لجهله أو لعدم رغبته (إن كان قد قرأها وتجاوز عنها فى صمت) لتقديم حجة تهدم قصده . وهاك نص النبوة :

« ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلا . أطلب لنفسك آية من الرب إلهك . عمّق طلبك أو رفعه إلى فوق . فقال آحاز : لا أطلب ولا

الفصل الثالث والثلاثون

وإن كانت هنالك نفس معينة ، لأسباب غامضة ، لا تستحق أن توجد فى جسد كائن خال خلواً تاماً من العقل ، أو فى جسد كائن عاقل لكن الجسد فظيع جداً ، بحيث لا يستطيع العقل أن يؤدى وظيفته فى جسد بهذا التكوين ، فالرأس لا تتناسب مع سائر الأعضاء لصغر حجمها جداً ، وإن وجدت هنالك نفس أخرى تحتل جسداً بحيث تكون أقل تفكير من غيرها ، وإن وجدت أيضاً نفس أخرى يكون جسدها غير قادر على تقبل قوة التفكير ، فلماذا لا توجد أيضاً نفس تتقبل جسداً معجزياً ذا صفات يشترك فيها أجساد سائر البشر ، لكى يتنقل فى الحياة مثلها ، لكنه يسمو عليها ، بحيث تبقى النفس غير ملوثة بالخطية ؟

وإن وجدت هنالك أية صحة فى عقيدة علماء الفراسة أن زوبيروس (١) أو لوكسوس (٢) أو بولمون (٣) ، أو أى واحد ممن كتبوا فى هذا الموضوع ، وممن يعترفون بأنهم يعرفون بكيفية عجيبة أن كل الأجساد تـلائم عادات النفـوس ، أكان ينبغى أن

---

(١) Zopyrus (٢) Loxus (٣) Polemon

يوجد لتلك النفس ، التى كان يجب أن تعيش بين البشر بقوة معجزية وتتمم أعمالا عظيمة ، جسد يتكون كما يتوهم كلسس – من عملية الزنى بين بانثيرا والعذراء ، لا شك فى أنه كان يجب أن ينشأ من معاشرة دنسة كهذه شخص أحمق يسىء للبشرية ، ويعلم الدنس والفجور وسائر الشرور الأخرى ، بدلا من أن يعلّم العفة والبر وسائر الفضائل الأخرى .

الفصل الرابع والثلاثون

لكن كان يجب – كما تنبأ الأنبياء أيضاً – أن يولد من عذراء ، وفق العلامة الموعود بها ، من يتفق اسمه مع حقيقة الأمر الواقع ، ويبين أنه وقت ميلاده يحل الله مع الناس . ويبدو لى أنه مما يتفق مع صفات ذلك اليهودى أن يقتبس نبوة إشعياء التى تقول بأن عمانوئيل كان يجب أن يولد من عذراء . وهذا ما لم يفعله كلسس ، الذى يدعى بأنه يعرف كل شىء ، وذلك إما لجهله أو لعدم رغبته (إن كان قد قرأها وتجاوز عنها فى صمت) لتقديم حجة تهدم قصده . وهاك نص النبوة :

« ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلا . أطلب لنفسك آية من الرب إلهك . عمّق طلبك أو رفّعه إلى فوق . فقال آحاز : لا أطلب ولا

أجرب الرب . فقال اسمعوا يابيت داود . هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهى أيضاً . ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » (١)

ومما يثبت خبث كلسس المتعمد فى عدم اقتباسه هذه النبوة أنه رغم اقتباسه عدة اقتباسات من إنجيل متى كظهور النجم وقت ولادة المسيح ، وحوادث أخرى معجزية ، فإنه لم يذكر قط هذه النبوة .

وإذا ما أراد أى يهودى تحريف الكلام وقال إن العبارة لم ترد هكذا « ها العذراء » بل « ها الشابة » أجبنا بأن الكلمة « Olmah » العبرانية التى ترجمتها الترجمة السبعينية بكلمة « عذراء » ، وترجمها آخرون بكلمة « شابة » وردت بمعنى عذراء فى سفرالتثنية فى المناسبة التالية :

« إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجموهما بالحجارة حتى يموتا . الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة والرجل من أجل أنه أذلّ امرأة صاحبه » (٢) .

---

(١) (إش ٧ : ١٠ – ١٤ مع مت ١ : ٢٣) .
(٢) تث ٢٢ : ٢٣ و ٢٤ .

وأيضاً « ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده . وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً . ليس على الفتاة خطية للموت » (١) .

الفصل الخامس والثلاثون

ولكن لئلا يبدو - بسبب كلمة عبرانية - أننا نحاول إقناع من يعجزون عن الجزم فى التصديق أو عدم التصديق بأن هذا الشخص كان يجب أن يولد من عذراء لأن هذه العبارة « الله معنا » قيلت وقت ولادته فلنصل إلى هدفنا من الكلمات نفسها . فقد قيل إن الرب قال لآحاز « أطلب لنفسك آية من الرب إلهك . عمق طلبك أو رفعه إلى فوق » (٢) . بعد ذلك أعطيت الآية « ها العذراء تحبل وتلد ابناً » (٣) .

ولو كانت التى تحبل وتلد هى شابة ، لا عذراء ، فأى نوع من الآية فى هذا ؟

وأى من الإثنتين تليق بأن تكون أماً لعمانوئيل (أى الله معنا) هل هى المرأة التى تتصل برجل وتحبـــل حسب عادة النسـاء ، أم

---

(١) تث ٢٢ : ٢٥ و ٢٦ .   (٢) إش ٧ : ١١ .   (٣) إش ٧ : ١٤ .

تلك التى لا تزال عذراء طاهرة عفيفة ؟ يقيناً إنه لا يليق إلا بالأخيرة أن تلد من يقال عند ولادته « الله معنا » . وإن كان تحامله عنيفاً جداً حتى قال إن الأمر صدر لآحاز « أطلب لنفسك آية من الرب إلهك » سألناه نحن بدورنا : مَن هى تلك التى فى عصر آحاز ولدت ابناً قيل عنه وقت ولادته إنه « عمانوئيل أى الله معنا » ؟ وإن لم توجد ، فواضح أن ما قيل لآحاز قيل لبيت داود ، لأنه مكتوب أن المخلص ولد من بيت داود حسب الجسد ، وقد قيل عن هذه الآية « فى العمق أو فى العلو » طالما « أن الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكى يملأ الكل (١) . وهذه الحجج أقدمها ضد اليهودى الذى يؤمن بالنبوات .

وليقل لى الآن كلسس ، أو أى واحد ممن يدينون بآرائه ، ماذا يعنيه النبى بهذه الأقوال التى نطق بها عن المستقبل ، أو تلك الأخرى الواردة بالنبوات ؟ هل كان متطلعاً إلى المستقبل أم لا ؟ وإن كان قد تطلع إلى المستقبل فقد كان الأنبياء ملهمين بالهام إلهى . وإن لم يكن قد تطلع إلى المستقبل فليفسر لنا المعنى الذى قصده ذاك الذى تكلم هكذا بجرأة عن المستقبل ، والذى كان موضوع إعجاب اليهود بسبب مواهبه النبوية .

---

(١) أف ٤ : ١٠ .

الفصل السادس والثلاثون

وطالما كنا قد لمسنا موضوع الأنبياء فإن ما سنتقدم به نافع ليس فقط لليهود ، الذين يعتقدون أن الأنبياء تكلموا بوحى إلهى ، بل أيضاً للأكثر إخلاصاً بين اليونانيين . لهؤلاء نقول إننا يجب أن نعترف بأن اليهود كان يجب أن يكون لهم الأنبياء إن أستمروا فى إطاعة التشريع الذى أعطى لهم ، والإيمان بالخالق ، كما تعلموا ، وإن لم تكن لهم فرصة للارتداد عن الدين إلى الاعتقاد بتعدد الآلهة كالوثنيين ، الأمر الذى حرمه الناموس ، ونحن نبين كيف كان هذا ضرورياً بالكيفية الآتية :

« إن هؤلاء الأمم (كما هو مكتوب فى ناموس اليهود نفسه يسمعون للعائفين والعرافين » (١) . أما للشعب اليهودى فقد قيل « وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك » . ثم أضيف لذلك هذا الوعد « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك » (٢) .

لذلك فطالما كان الوثنيون يستخدمون طرق العرافة سواء بالتفاؤل أو الانذار بالغيب ، أو بالطيور ، أو بالمتكلمين من بطنهم ، أو حتى بمن يعترفون أنهم يتنبأون بواسطة الذبائح أو المنجمين الكلدانيين ، فقد كانت كل هذه محرمة على اليهود .

---

(١) تث ١٨ : ١٤ . (٢) تث ١٨ : ١٥ .

لكن لو لم يكن لليهود علم بالمستقبل لتعزيتهم ، لكانوا قد اندفعوا بالرغبة البشرية الجشعة ليعرفوا المستقبل ، واحتقروا أنبياءهم لعجزهم عن التنبؤ ، ولما قبلوا أى نبى بعد موسى ، ولما دونوا أقـوالهم . بل كانوا - من تلقـاء أنفسهم - لجـأوا إلى العـرافة الوثنية ، أو حاولوا إقامة شـىء من هذا القبيل بين أنفسهم .

بناء على ذلك ليس هنالك شىء غير لائق فى هذه الحقيقة أن الأنبياء بينهم تنبأوا نبوات حتى عن أمور كل يوم لتعزية من كانوا يطلبون هذا النوع من التعزية . هكذا تنبأ صموئيل حتى عن « الاتن الضالة » (١) وتم ما ورد فى سفر الملوك الثالث عن مرض ابن الملك (٢) . وإلا فكيف أمكن لمن احتفظوا بوصايا ناموس اليهود أن يوبخوا أى شخص أراد استشارة الأوثان ؟ هكذا وجدنا إيليا يوبخ أخزيا قائلا « أليس لأنه لا يوجد فى إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون » (٣) .

الفصل السابع والثلاثون

وأعتقد أنه قد ثبت جداً بالحجة ، ليس فقط أن مخلصنا كان يجب أن يولد من عذراء ، بل أنه هنالك بين اليهود أنبياء لم يعطوا مجرد إعـلانات عامة عن المسـتقبل ، مثل تلك التى أعطيت عن

---

(١) ١ صم ٩ : ٢٠ (٢) ١ مل ١٤ : ١ - ١٨ (سفر الملوك الأول يدعى فى بعض الترجمات سفر الملوك الثالث) (٣) ٢ مل ١ : ٣ .

المسيح وعن ممالك العالم ، وعن مصير إسرائيل فى المستقبل ، وعن إيمان الأمم بالمخلص ، وأشياء أخرى كثيرة عنه . وهم أيضاً تنبأوا نبوات محددة ، مثل الطريقة التى وجدت بها أتن قيس الضـــالة ، ومرض ابن ملك إســـرائيل ، أو أية رواية أخرى من هـــذا القبيل .

وعلى أى حال فإننى أقول لليونانيين ، الذين لا يؤمنون بولادة المسيح من عذراء ، إن الخالق أظهر فى ولادة حيوانات مختلفة أن ما فعله فى حالة أحد الحيوانات ، يمكنه أن يفعله - إن أراد - أيضاً مع الحيوانات الأخرى ، بل حتى مع الناس أنفسهم . فبين الحيوانات توجد إناث معينة لا تجتمع مع الذكور ، كما يقول عن النسر الكاسر (١) أولئك الذين كتبوا عن الحيوانات . هذا المخلوق يحافظ على بقاء الجنس دون أى أتصال جنسى .

فلماذا لا يصدق إذن أنه إن أراد الله أن يرسل معلماً إلهياً للبشرية فإنه يجعل مَن سيولد يأتى إلى الوجود بكيفية مختلفة بدلا من استخدام طريقة التناسل الناتجة من اجتماع الرجل بالمرأة ؟ وعلاوة على هذا فكل الناس لم يولدوا من رجل وامرأة ، وذلك حسبما يقول اليونانيـون أنفسهم . وإن كان العالم قد خلق - كما يعتقد الكثيرون من اليونانيين - لكان أوائل الناس قد أتوا إلى الوجود بدون أتصال جنسى ، بل من الأرض ، إذ توجد فى الأرض مبادىء التناسل .

---

(١) Vulture طائر من سباع الطير حاد البصر ، طويل العمر ، كبير الحجم يقع على الجيف .

لكن لو لم يكن لليهود علم بالمستقبل لتعزيتهم ، لكانوا قد اندفعوا بالرغبة البشرية الجشعة ليعرفوا المستقبل ، واحتقروا أنبياءهم لعجزهم عن التنبؤ ، ولما قبلوا أى نبى بعد موسى ، ولما دونوا أقـــوالهم . بل كانوا - من تلقـــاء أنفسهم - لجـــأوا إلى العـــرافة الوثنية ، أو حاولوا إقامة شـــىء من هذا القبيل بين أنفسهم .

بناء على ذلك ليس هنالك شىء غير لائق فى هذه الحقيقة أن الأنبياء بينهم تنبأوا نبوات حتى عن أمور كل يوم لتعزية من كانوا يطلبون هذا النوع من التعزية . هكذا تنبأ صموئيل حتى عن « الاتن الضالة » (١) وتم ما ورد فى سفر الملوك الثالث عن مرض ابن الملك (٢) . وإلا فكيف أمكن لمن احتفظوا بوصايا ناموس اليهود أن يوبخوا أى شخص أراد استشارة الأوثان ؟ هكذا وجدنا إيليا يوبخ أخزيا قائلا « أليس لأنه لا يوجد فى إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون » (٣) .

الفصل السابع والثلاثون

وأعتقد أنه قد ثبت جداً بالحجة ، ليس فقط أن مخلصنا كان يجب أن يولد من عذراء ، بل أنه هنالك بين اليهود أنبياء لم يعطوا مجرد إعـــلانات عامة عن المســـتقبل ، مثل تلك التى أعطيت عن

---

(١) ١ صم ٩ : ٢٠ (٢) ١ مل ١٤ : ١ - ١٨ (سفر الملوك الأول يدعى فى بعض الترجمات سفر الملوك الثالث) (٣) ٢ مل ١ : ٣ .

المسيح وعن ممالك العالم ، وعن مصير إسرائيل فى المستقبل ، وعن إيمان الأمم بالمخلص ، وأشياء أخرى كثيرة عنه . وهم أيضاً تنبأوا نبوات محددة ، مثل الطريقة التى وجدت بها أتن قيس الضـــالة ، ومرض ابن ملك إســرائيل ، أو أية رواية أخرى من هـــذا القبيل .

وعلى أى حال فإننى أقول لليونانيين ، الذين لا يؤمنون بولادة المسيح من عذراء ، إن الخالق أظهر فى ولادة حيوانات مختلفة أن ما فعله فى حالة أحد الحيوانات ، يمكنه أن يفعله - إن أراد - أيضاً مع الحيوانات الأخرى ، بل حتى مع الناس أنفسهم . فبين الحيوانات توجد إناث معينة لا تجتمع مع الذكور ، كما يقول عن النسر الكاسر (١) أولئك الذين كتبوا عن الحيوانات . هذا المخلوق يحافظ على بقاء الجنس دون أى أتصال جنسى .

فلماذا لا يصدق إذن أنه إن أراد الله أن يرسل معلماً إلهياً للبشرية فإنه يجعل مَن سيولد يأتى إلى الوجود بكيفية مختلفة بدلا من استخدام طريقة التناسل الناتجة من اجتماع الرجل بالمرأة ؟ وعلاوة على هذا فكل الناس لم يولدوا من رجل وامرأة ، وذلك حسبما يقول اليونانيـون أنفسهم . وإن كان العالم قد خلق - كما يعتقد الكثيرون من اليونانيين - لكان أوائل الناس قد أتوا إلى الوجود بدون أتصال جنسى ، بل من الأرض ، إذ توجد فى الأرض مبادىء التناسل .

---

(١) Vulture طائر من سباع الطير حاد البصر ، طويل العمر ، كبير الحجم يقع على الجيف .

لكننى أعتقد بأنه لا يصدق مطلقاً أن يسوع ولد مثل بعض الناس وإذ نحن نخاطب اليونانيين فلا يضير أن نقتبس من الروايات اليونانية لئلا يظن بأننا نحن الشعب الوحيد الذى روى هذه الرواية غير القابلة للتصديق . لأن البعض يرون أنه من المناسب (لا بصدد أية قصص قديمة وأنباء بطولية ، بل عن أناس ولدوا حديثا جداً) أن يدونوا - إن أمكن - بأنه عندما ولد أفلاطون من أمفيكتيون (١) حُرم أريستون (٢) من الاتصال بها جنسيا إلا بعد أن تلد ابنها الذى حملته من أبولو (٣) .

لكن هذه القصص خرافات فى الواقع ، دفعت الناس إلى اختراع رواية عن رجل ما ، لأنهم اعتبروه ذا حكمة وقوة تسمو عن الجماهير وأن جسده تكون من زرع أسمى وأكثر روحانية ، ظانين أن هذا يليق بالبشر ذوى القدرات الأسمى من الطبيعة البشرية . لكن عندما ذكر كلسس أن ذلك اليهودى تحدث مع يسوع وهزأ بالادعاء حسب زعمه - أنه ولد من عذراء ، واقتبس الأساطير اليونانية عن دانى (١) وميلانيب (٢) وأوجى (٣) وانتيوب (٤) ، فإننى أرى نفسى مضطراً للرد بأن هذه الكلمات تلائم شخصاً بهلوانياً متبذلا ، لا شخصاً متزناً .

---

(١) Amphictione (٢) Ariston (٣) Apollo

(١) Danae (٢) Melanippe (٣) Auge (٤) Antiope

الفصل الثامن والثلاثون

ومع أنه ، علاوة على هذا استقى رواية ارتحال يسوع إلى مصر من إنجيل متى ، فإنه لم يؤمن بكل المعجزات المتصلة بها ، ولا آمن بأن ملاكا وجه هذه الرحلة ، ولا بأن هجرة يسوع من اليهودية وإقامته بمصر كان لهما معنى خفى . لكنه لفق رواية أخرى . فبالرغم من أنه قبل - لحد ما - المعجزات التى صنعها يسوع ، التى أقنع بها الجماهير ليتبعوه على أساس أنه المسيح ، إلا أنه أراد مهاجمتها كأنها قد تمت بقوة السحر لا بقوة إلهية . فقد قال :

« لقد نشأ خفية وأجّر نفسه كعامل فى مصر ، بعد أن جرب يده فى بعض قوات سحرية عاد من هناك ، وبسبب هذه القوات لقب نفسه إلهاً » .

لست أدرى لماذا يتعب ساحر ليعلم تعليما يقنع كل انسان لكى يتتم كل عمل كأنه يؤديه أمام الله الذى يدين كل واحد حسب كل أعماله وأن يغرس هذا الاعتقاد فى نفوس تلاميذه الذين قصد بأن يستخدمهم كحاملى تعاليمه . هل أقنعوا سامعيهم لأنهم تعلموا أن يصنعوا المعجزات بهذه الكيفية . أم إنهم لم يصنعوا أية معجزات ؟

لكننى أعتقد بأنه لا يصدق مطلقاً أن يسوع ولد مثل بعض الناس وإذ نحن نخاطب اليونانيين فلا يضير أن نقتبس من الروايات اليونانية لئلا يظن بأننا نحن الشعب الوحيد الذى روى هذه الرواية غير القابلة للتصديق . لأن البعض يرون أنه من المناسب (لا بصدد أية قصص قديمة وأنباء بطولية ، بل عن أناس ولدوا حديثا جداً) أن يدونوا - إن أمكن - بأنه عندما ولد أفلاطون من أمفيكتيون (١) حُرم أريستون (٢) من الاتصال بها جنسيا إلا بعد أن تلد ابنها الذى حملته من أبولو (٣) .

لكن هذه القصص خرافات فى الواقع ، دفعت الناس إلى اختراع رواية عن رجل ما ، لأنهم اعتبروه ذا حكمة وقوة تسمو عن الجماهير وأن جسده تكون من زرع أسمى وأكثر روحانية ، ظانين أن هذا يليق بالبشر ذوى القدرات الأسمى من الطبيعة البشرية . لكن عندما ذكر كلسس أن ذلك اليهودى تحدث مع يسوع وهزأ بالادعاء حسب زعمه - أنه ولد من عـــذراء ، واقتبس الأســـاطير اليونانية عن دانى (١) وميلانيب (٢) وأوجى (٣) وانتيوب (٤) ، فإننى أرى نفسى مضطراً للرد بأن هذه الكلمات تلائم شخصاً بهلوانياً متبذلا ، لا شخصاً متزناً .

---

(١) Amphictione (٢) Ariston (٣) Apollo

(١) Danae (٢) Melanippe (٣) Auge (٤) Antiope

الفصل الثامن والثلاثون

ومع أنه ، علاوة على هذا استقى رواية ارتحال يسوع إلى مصر من إنجيل متى ، فإنه لم يؤمن بكل المعجزات المتصلة بها ، ولا آمن بأن ملاكا وجه هذه الرحلة ، ولا بأن هجرة يسوع من اليهودية وإقامته بمصر كان لهما معنى خفى . لكنه لفق رواية أخرى . فبالرغم من أنه قبل - لحد ما - المعجزات التى صنعها يسوع ، التى أقنع بها الجماهير ليتبعوه على أساس أنه المسيح ، إلا أنه أراد مهاجمتها كأنها قد تمت بقوة السحر لا بقوة إلهية . فقد قال :

« لقد نشأ خفية وأجّر نفسه كعامل فى مصر ، وبعد أن جرب يده فى بعض قوات سحرية عاد من هناك ، وبسبب هذه القوات لقب نفسه إلهاً » .

لست أدرى لماذا يتعب ساحر ليعلم تعليماً يقنع كل إنسان لكى يتمم كل عمل كأنه يؤديه أمام الله الذى يدين كل واحد حسب كل أعماله وأن يغرس هذا الاعتقاد فى نفوس تلاميذه الذين قصد بأن يستخدمهم كحاملى تعاليمه . هل أقنعوا سامعيهم لأنهم تعلموا أن يصنعوا المعجزات بهذه الكيفية . أم إنهم لم يصنعوا أية معجزات ؟

ليس معقولا مطلقا القول بأنهم لم يصنعوا معجزات مطلقاً . لكن المعقول أنهم رغم إيمانهم بدون مبررات كافية ، بالمقارنة مع حكمة اليونانيين المنطقية ، فقد كرسوا أنفسهم لتعليم تعاليم جديدة لكل من استطاعا زيارتهم .

وما الذى بعث فيهم الثقة ليعلموا تلك التعاليم ويقدموا آراء جديدة ؟ ومن الناحية الأخرى ، إن كانوا قد صنعوا المعجزات فهل يعقل أن يقال عنهم إنهم كانوا سحرة عندما خاطروا بحياتهم ، وعرضوها لاخطار عنيفة من أجل تعليم يحرم السحر ؟

الفصل التاسع والثلاثون

وأعتقد بأن الأمر لا يستحق مهاجمة أية حجة لا يقدمها جدياً ، بل على سبيل السخرية فقط ، إذ يقول :

« وهل كانت أم يسوع جميلة ؟ وهل لأنها كانت جميلة أتصل الله بها جنسياً ، مع أن الأمر طبيعى أنه لا يمكن أن يحب جسداً فاسداً . ليس معقولاً أن يكون الله قد أحبها ، فإنها لم تكن غنية ، ولا كانت من أصل ملكى ، إذ لم يـوجد أحد يعرفها ، حتى من بين جيرانها » .

وكانت سخرية أيضاً عندما قال :

« عندما أبغضها النجار وطردها لم تنقذها أي قوة إلهية ، ولا

موهبة الاقناع . لذلك لم تكن لهذه الأمور علاقة بملكوت الله » .

هل يختلف هذا الكلام عن كلام الشوارع السفيه ، وأحاديث الناس الذين لا يقولون شيئاً يستحق الالتفات إليه ؟

الفصل الأربعون

بعد هذا تناول الرواية من إنجيل متى ، وربما أيضا من الأناجيل الأخرى ، الخاصة بنزول الحمامة على المخلص عندما عمده يوحنا ، وأراد مهاجمتها وأعتبارها من صنع الخيال . لكنه ، بعد أن مزق - حسب ظنه - رواية ميلاد مخلصنا من العذراء ، لم يشأ أن يقتبس الحوادث التالية حسب ترتيبها ، لأن الغيظ والكراهية لهما طريقة منظمة وعندما يثور الناس ممتلئين عداوة شخصية ، فإنهم ينطقون بأى كلام يخطر بعقولهم لما يهاجمون من يبغون ، طالما كانت حدة غضبهم تعوقهم عن أن يروا أتهاماتهم بحرص وبترتيب .

فلو كان قد راعى الترتيب لكان قد أخذ الأنجيل ، وقدم أعتراضاته على القصة الأولى ، ثم الثانية ، وهكذا مع البقية ، إذ أراد أنتقاده . لكن كلسس ، الذى يدعى معرفة كل شىء ، بعد إنتقاد رواية ولادة المسيح من العذراء ، أستمر فى الأعتراض فتناول الرواية المتعلقة بظهور الروح القدس فى شكل حمامة وقت المعمودية . وبعد ذلك هاجم النبوة الخاصة بمجىء مخلصنا ، ثم عاد إلى ما هو مدون عن ميلاد يسوع ، إلى رواية النجم والمجوس الذين جاءوا من المشرق ليسجدوا للطفل .

وإذا ما أمعنت النظر وجدت لكلسس أقوالاً كثيرة مشوشة فى كتابه . ،من هذا يستطيع مَن يحافظون على النظام والترتيب أن يبرهنوا بأنه كان متغطرساً ومتكبراً عندما أطلق على كتابه أسم « التعاليم الصادقة » وهذه تسمية لم يستخدمها أى واحد من الفلاسفة البارزين . فأفلاطون قال بأن الرجل العاقل لا يكون واثقاً من مثل هذه الأمور الغامضة . وكريسبس (١) ، الذى كان يصف دواما الأسباب التى تأثر بها ، أحالنا على الأشخاص نستطيع أن نصفهم نحن أكثر منه ، إذن فقد كان كلسس أكثر حكمة من هذين الرجلين ومن اليونانيين الآخرين . وقد كان مما يتفق مع تأكيده بأنه يعرف كل شىء أنه أطلق على كتابه أسم « التعاليم الصادقة » .

الفصل الحادى والأربعون

ولئلا يبدو أننا تعمدنا التجاوز عن ملاحظاته لعجزنا عن الأجابة ، فقد عزمنا على تفنيد كل أعتراض من أعتراضاته على قدر أستطاعتنا ناظرين ، إلى ترتيب المواضيع الطبيعى وتسلسلها ، بل إلى ترتيب الأعتراضات المدونة فى كتابه ، فلنتأمل إذن فيما قاله عند مهاجمة رواية ظهور الروح القدس ، بكيفية مادية ، الذى رآه مخلصنا « مثل حمامة » . أستمر صديقه اليهودى فى توجيه هذا إلى مَن نعترف نحن بأنه هو ربنا يسوع ، فقال :

---

(١) chrysippus

« تقول إنك عندما كنت تستحم بجوار يوحنا رأيت ما بدا كأنه طائر يطير نحوك من السماء » . ثم سأل صديقه اليهودى « أى شاهد يوثق به رأى هذه الرؤيا ، أو مَن سمع صوتاً من السماء يعلن بأنك أبن اللّه ؟ لا برهان على ذلك سوى كلامك والدليل الذى يمكنك أن تقدمه من أحد الرجال الذين نالوا معك القصاص » .

الفصل الثانى والأربعون

وقبل أن نبدأ الدفاع يجب أن نقول بأن محاولة إثبات أية رواية بالحجة كحقيقة تاريخية ، حتى إن كانت صحيحة ، وإقامة أدلة كاملة يقينية عنها ، مهمة شاقة جداً ، وتكاد تكون مستحيلة فى بعض الحالات . هب مثلا أن أحداً قال بأن حرب طروادة لم تحدث قط ، سيما وإنها مرتبطة بالرواية الخرافية عن أكيلا (١) كانت له أم تدعى ثيتس (٢) وهى إلهة البحر ، وأب يدعى بيليوس (٣) أو أن ساربدون (٤) كان إبنا لزفس (٥) ، أو إن أسكالافوس (٦) وياليمنوس (٧) كانا أبنين لآرس (٨) ، أو إن إينياس (٩) كان أبنا لافروديت (١٠) . فكيف يمكن أن نثبت هذا بالحجة ، سيما ونحن

---

(١) Achilles
(٢) Thetis
(٣) Peleus
(٤) Sarpedon
(٥) Zeus رب الأرباب عند قدماء الأغريق
(٦) Ascalaphus
(٧) Ialmenus
(٨) Ares
(٩) Aeneas
(١٠) Aphrodite

نرتبك بالرويات الخيالية المرتبطة – لأسبابا غير معروفة – بالرأى الذى يعتقده كل واحد أنه كانت هنالك فعلا حرب فى طروادة بين اليونانيين وأهل طروادة ؟

وهب أيضاً بأن أحداً لايصدق الرواية عن أوديبس (١) ويوكاستا (٢) وعن أبنيهما أبتوكلس (٣) وبولينيكيس (٤) لأن أبا الهول (٥) ، النصف عذراء ، متصل بهذه الرواية . فكيف يمكن أن نبرهن صرحه رواية كهذه ؟ هكذا الحال أيضاً فى أمر أبيجونى (٦) ، حتى وإن لم يوجد شىء لا يمكن تصديقه فى الرواية ، أو فى أمر عودة هيراكليدى (٧) ، أو أمور أخرى لا يحصى لها عدد .

إن أى واحد يقرأ هذه الرويات بعقل متزن ، ويريد أن يحفظ نفسه من أن يخدع بواسطتها ، لابد أن يقرر ما الذى يقبله وما الذى يفسره رمزياً ، باحثاً عن المعنى الذى يقصده المؤلفون الذين كتبوا مثل هذه الروايات الوهمية ، وما الذى لا يصدقه مما كتب لأشباع مزاج أشخاص معينين .

لقد قلنا هذا كمقدمة للموضوع كله المتعلق بالرواية التى وردت فى الأناجيل عن يسوع ، لا لكى أدعو ذوى العقول السليمة ليؤمنوا مجرد إيمان غير معقول ، بل رغبة منى فى أن أبين بأن القراء يحتاجون إلى ذهن مفتوح ودراسة عميقة ، بل يحتاجون إلى أن يدخلوا عقول المؤلفين لكى يتبينوا المعنى الروحى الذى تنطوى عليه كل الحوادث المدونة .

---

(١) Oedipus — (٢) Jocasta — (٣) Epteocles
(٤) Polyneices — (٥) Sphinx — (٦) Epigoni
(٧) Heraclidae

الفصل الثالث والأربعون

إننا نقول أولا بأنه إ كان الشخص الذى لا يصدق رواية ظهور الروح القدس فى هيئة حمامة قد قيل بأنه أبيقورى ، أو تابع لديموكريتس (١) أو رواقى ، فقد يكون للانتقاد بعض القوة لأنه يتفق مع صفته التى تميل إلى الوهم والتخيل ، وعلى أى حال فإن كلسس الذكى جداً لم يفكر فى أنه وضع كلمات كهذه فى فم ذلك اليهودى الذى يعتقد بمعجزات فى أسفار الأنبياء أعظم من رواية نزول الروح القدس فى شكل حمامة .

فالمرء يستطيع أن يقول لذلك اليهودى الذى لا يؤمن بمنظر الحمامة ، ويظن أنه يقدر أن يتهمه بأنه خرافة : كيف تستطيع أن تبرهن أيها السيد الصالح – أن الرب قال لآدم ، أو حواء ، أو قايين ، أو نوح ، أو إبراهيم ، أو أسحق ، أو يعقوب ، الكلام الذى قاله لهم حسبما جاء فى الكتاب المقدس ؟

وبمقارنة هذه الرواية بغيرها أقول لذلك اليهودى : لقد كتب حزقيال هـذه العبـارة « السمـاوات إنفتحت فرأيت رؤيا عن الله »

---

(١) Democritus

وبعد شرح الرؤيا استمر فى الحديث وقال : « هذه الرؤيا شبه مجد الرب . فقال لى » (١) .

فلو كانت الرويات المدونة عن يسوع غير حقيقية طالما كنا كما تفترضون – غير قادرين على أن نبين بدون أى شك أن هذه الأشياء التى رآها أو سمعها هو وحده صحيحة ، والتى رآها أو سمعها أيضاً واحد ممن عوقبوا (٢) كما تلاحظون ، ألستم تبررون بالأكثر إن قلتم إن حزقيال روى روايات شاذة عندما قال إن « السماوات إنفتحت » وهكذا ؟ وعلاوة على هذا ، إن كان إشعياء قد أكد قائلا « رأيت رب الجنود جالساً على كرسى عال ومرتفع . السرافيم واقفون حوله لكل واحد ستة أجنحة » (٣) الخ . فكيف تبرهن أنه رأى هذا حقاً ؟ لأنك أيها اليهودى الصالح ، تؤمن أن هذه الأشياء خالية من الخطأ ، وأن النبى لم يرها فقط بالهام إلهى ، بل نقلها أيضاً شفوياً وكتابة بالهام إلهى . من هو الذى نصدقه بأكثر تحقيق عندما يؤكد أن السماوات أنفتحت له ، وأنه سمع صوتاً ، أو رأى رب الجنود جالساً على كرسى عال ومرتفع ؟

لا يمكن أن يقارن فى الأهمية أى شىء مما قاله أو فعله هذان النبيان أما صلاح يسوع نحو البشر فأنه لم يحصر فى فترة التجسد فقط ، لكن قوة يسوع إلى هذا اليوم تجدد حياة الذين يؤمنون بالله عن طريقه وتصلحهم أدبياً .

---

(١) حز ١ : ١ و ٢٨ ، ٢ : ١ (٢) يو ١ : ٣٢ (٣) إش ٦ : ١ و ٢١

أما إن هذا يحدث بقوته فيمكن البرهان عليه بسهولة من هذه الحقيقة وهى إن حصاد الشعب الذى يجمع ببيادر اللَّه ، أى الكنائس ، كثير جداً بحيث لا يوجد فعلة ليحصدوا حصاد النفـوس ، وذلك كما قال هو (١) وكما يؤيده الاختبار .

الفصل الرابع والأربعون

أقول هذا لليهودى ، ليس لأننى كمسيحى لا أصدق حزقيال وأشعياء بل لكى أخجله بالتحدث عن الكاتبين اللذين يؤمن بهما كل منا ، ومنهما نرى أن يسوع أقرب إلى التصديق منهما ، وذلك عندما تحدث لتلاميذه عن الرؤيا التى رآها والصوت الذى سمعه ، وقد يقول قائل آخر إنه ليس كل الذين دونوا أنباء شكل الحمامة والصوت من السماء وسمعوا يسوع يصف هذه الأحداث ، لكن الروح القدس الذى علم موسى تاريخ العصور السابقة إبتداء من خلق العالم إلى تاريخ إبراهيم أبيه هو نفسه أيضاً الذى علم كتبة الأناجيل هذه المعجزة التى حدثت وقت معمودية يسوع .

إن من يزّين بالموهبة الروحية التى دعيت « كلام حكمة (٢) يستطيع أيضاً أن يفسر سبب فتح السمـاء ، ونزول الروح القدس

---

(١) مت ٩:٣٧ و ٣٨ ، لو ١٠:٢ (٢) ١كو ١٢:٨

مثل حمامة ولماذا لم يظهر الروح القدس فى شكل أى كائن آخر غير هذا لكن مجال المنافشة لا يدعونا لتفسير هذا الآن . فإن هدفنا هو أن نبرهن خطأ الكلمات ، مع أن الحادثة موضوع الحديث ، لها ما يؤيدها تاريخاً أكثر من الحوادث التى صدقها .

الفصل الخامس والأربعون

فى إحدى المناقشات مع بعض اليهود ، الذين كان يزعم أنهم حكماء ، وكان أشخاص كثيرون حاضرين ليحكمـوا على ما يقال ، أتذكر أننى أستخدمت الحجة التالية . أيها السادة ، هنالك شخصان أتيا لافتقاد الجنس البشرى ، دونت عنهما معجزات فوق طاقة البشر ، أعنى موسى مشرعكم الذى كتب عن نفسه ، يسوع الذى لم يترك كتاباً عن نفســه ، بل شهد عنه تلاميذه فى الأناجيل ، أليس من السخافة أن تصدقوا بأن موسى قال الحق ، بالرغم من أن المصريين طعنوه إذ قالوا عنه إنه ساحر مشعوذ ظهر ليجرى معجزاته عن طريق الخداع ، وفى نفس الوقت لا تصدقون يسوع لأنكم تتهمونه ؟ لقد نال كل منهما شادة الشعوب . فاليهـود يشـهدون لمـوسى ، أما المسيحيـون فإنهم - دون أن ينكروا بـأن موسـى كان نبياً - يبرهنون من نبوتـه كل ما هـو حـق عن يســوع ويعتقدون بصحة الروايات المعجزيـة التى دونها عنه تلاميذه .

أما إذا طلبتهم أن نقدم إليكم سبب إيماننا بيسوع ، فقدموا لنا أولاً سبب إيمانكم بموسى ، طالما كانت هو قد عاش قبل يسوع ، وعندئذ نقدم نحن لكم سبب إيماننا به . وذا ماراوغتم ورفضتم تقديم البراهين عن مــوسى ، فإننا وقتياً نفعل مثل ما فعلتم ولا نقدم أى برهان .

وإن أعـوزتكم الحجـة فاعترفـوا بأنكم لا تجـدون برهانـاً عن مـوسى ، ثم أصغوا إلى الأدلة عن يســوع من النامـوس والأنبياء .

والواقع أن مايذهل هو أن الأدلة عن يسوع من الناموس والأنبياء هى التى تبرهن أن موسى والأنبياء كانوا حقاً أنبياء الله

الفصل السادس والأربعون

إن كتب الناموس والأنبياءً مليئة بمعجزات كتلك التى دونت عن يسوع وقت المعمودية عن الحمامة والصوت الذى من السماء . وإننى أعتقد أن المعجزات التى أجراها يسوع تعتبر دليلاً على أن الروح القدس ظهر فى شكل حمامة رغم مهاجمة كلسس لها قائلا إنه تعلم من المصريين كيف يجريها . ولا أريد أن أذكر هذه فقط ، لكننى أذكر أيضاً - كما هو منطقى - تلك التى أجراها رسل يسوع . لأنه بدون المعجزات والعجائب ما كان ممكناً لهم إقناع الذين سمعوا عقائد جديدة وتعاليم جديدة تأمرهم بأن يتركوا ديانتهم القديمة ويقبلوا تعليم الرسل مخاطرين بحياتهم .

لا تزال توجد بين المسيحيين آثار ظهور الروح القدس فى شكل حمامــة . فهم يخرجون الشياطين ، ويشفون مرضى كثيرن ، ويرون أشياء كثيرة عن المستقبل ، وذلك وفق إرادة الكلمة (يسوع) . وحتى إن هزأ كلسس ، أو اليهودى الذى ذكره ، بما سوف أقول ، فسوف يقال رغم هذا إن كثيرين أتوا إلى المسيحية رغم أنفهم ، لأن روحاً حوّل عقولهم بغتة من بغضة الإنجيل إلى الموت من أجله ، وذلك عن طريق رؤيا رأوها نهاراً أو ليلاً . ونحن نعرف حوادث كثيرة مماثلة ولو أردنا أن ندونها ، حتى وإن كنا شهود عيان حاضرين فى ذلك الوقت ، لجلبنا على أنفسنا هزءاً شديداً من غير المؤمنين الذين يظنون أننا نحن أنفسنا أخترعنا هذه الروايات كالذين شكوا فيهم بأنهم أخترعوا روايات كهذه . لكن لأن اللّه شاهد على ضميرنا الصالح فإننا ندعم التعاليم الإلهية ، لا بروايات كاذبة ، بل بحقائق معينة متعددة الأنواع .

ونظراً لأن مَن يعترض على رواية نزول الروح القدس على يسوع فى شكل حمامة هو يهودى فإننى أقول له : أيها الرجل الصالح ، مَن ذا المتكلم فى إشعياء الذى قال « الرب أرسلنى ووروحه (١) » ومع أنه غير واضح فى هذه الآيــة إن كانت تعنى أن

---

(١) إش ٤٨ : ١٦

الآب والروح القدس أرسلا يسوع ، أو أن الآب أرسل المسيح والروح القدس ، لكن الأرجح أن المعنى الثانى هو الأصح . فإنه بعد إرسال المخلص أرسل الروح القدس لكى يتم قول النبى . ولانه كان ضرورياً أن تعرف الأجيال القادمة إيضاً إتمام النبوة ، لهذا دوّن رسل يسوع ما حدث .

الفصل السابع والأربعون

كنت أود أن أقول اكلسس ، عندما قدم ذلك اليهودى على أساس أنه أعترف لحد ما بأن يوحنا كان معمداناً عندما عمد يسوع ، إن شخصاً ما ، عاش بعد يوحنا ويسوع بزمن ليس بطويل ، دون أن يوحنا الذى عمد لمغفرة الخطايا كان معمداناً . لأن يوسيفوس فى كتابه الثامن عشر عن الآثار اليهودية شهد بأن يوحنا كان معمداناً ووعد بالتطهير للشعب الذين عمدوا وقد بحث نفس المؤلف - مع أنه لم يؤمن بأن يسوع هو المسيح - عن سبب سقوط أورشليم وخراب الهيكل . كان يجب أن يقول بأن المؤامرة التى دبرت ضد يسوع كانت هى سبب حلول تلك النكبات على الشعب ، لأنهم قتلوا المسيح السابق التنبؤ عنه . وعلى أى حال فرغم أنه لم يدرك هذا إلا أنه لم يبعد عن الحق عندما قال إن هذه المصائب حلت باليهود للانتقام ليعقوب البار الذى كان أخا

« ليسوع المدعو المسيح » ، فإنهم قتلوه مع أنه كان باراً جداً .

هذا هو يعقوب الذى قال عنه بولس - تلميذ يسوع الحقيقى - إنه رآه ، ووصفه بأنه أخو الرب ، دون الإشارة إلى القرابة الجسدية بقدر ما كان يشير إلى حياته الأدبية وعقله . فإن كان قد قال إن خراب أورشليم حدث بسبب يعقوب ألا يكون أكثر منطقياً القول بأن هذا حدث بسبب يسوع المسيح ؟ لقد شهدت للاهوته كنائس كثيرة جداً تضم رجالا تجددوا من فيضان الخطايا ، وهم يعتمدون على الخالق ، ويلتمسون رضاه على كل تصرفاتهم .

الفصل الثامن والأربعون

وأشعياء ، أو فى نبوات أخرى أيضاً ، فإننا نؤيد المناقشة على قدر الاستطاعة بالقول إنه واضح بأن كل الذين يقبلون عقيدة العناية الإلهية ينفقون فى الاعتقاد بأن الكثيرين من الناس فى الأحلام يصورون صوراً فى عقولهم ، البعض يصورون صوراً روحية ، والآخرون يعلنون عن حوادث فى الحياة المستقبل سواء كانت واضحة أو غامضة .

فلماذا يعتبر غريباً بأن القوة التى تحدث تأثيراً على العقل فى الحلم تقدر أن تفعل هذا أيضاً فى النهار من أجل منفعة الإنسان الذى يحدث فيه التأثير ، أو منفعة الذين يسمعون منه عن هذا التأثير ؟ وكما أنا نتأثر فى الحلم الذى نسمعه ، والذى نتأثر به

جسدياً حواس السمع ، والذى تراه عيوننا ، رغم أن هذه التأثيرات لا تحس بها عيوننا الجسدية أو آذاننا ، لكنها فقط تعمل فى دائرة العقل (وقت الحلم) ، هكذا أيضاً لم يكن هنالك شيء خارق للطبيعة إن كانت مثل هذه الأمور قد حدثت للأنبياء ، عندما رأوا رؤى مذهلة ، أو سمعوا أقوالا من الرب ، أو رأوا السماوات مفتوحة ، كما قال الكتاب المقدس . لأنى لا أتصور بأن السماء المنظورة أنفتحت ، أو أن شكلها المادى أنشق ، عندما دون حزقيال هذه الحوادث .

لذلك فلعل قارىء الأناجيل الحصيف يفسر ما يتعلق بالمخلص تفسيراً مماثلاً ، حتى ولو أحدث هذا الرأي عثرة للبسطاء ، الذين يحركون – فى بساطتهم المتناهية – العالم ، ويمزقون كبد السماء الفسيح .

إن كل مَن يتأملون فى هذا الموضوع بعمق لابد أن يقولوا إن هنالك حاسة روحية شاملة لا يجدها على هذه الأرض إلا الإنسان المبارك . هكذا قال سليمان « أنك تجد حاسة روحية (١) . وهنالك أشكال مختلفة لهذه الحواس : بصيرة تقدر أن ترى الأشياء التى تسمو فوق الكائنات المادية ، الشاروبيم والسرافيم ، وحاسة السمع التى تقدر أن تتقبل مؤثرات الأصوات التى ليس لها كيان مادى فى الهواء ، وحاسة الذوق التى تتغذى بالخبز الحى « النازل من السماء والواهب حياة للعالم (٢) .

---

(١) أم ٢ : ٥ (٢) يو ٦ : ٣٣

هكذا أيضا توجد حاسة الشم التى تشم الروحيات ، كما يتحدث بولس عن « رائحة المسيح الذكية لله » (١) ، وحاسة اللمس وفقاً لما قاله يوحنا إنه لمس بيدية « كلمة الحياة » (٢) . لقد وجد الأنبياء المباركون هذه الحواس الروحية ، فكانت بصائرهم وأسماعهم روحية ، وبهذه الكيفية ذاقوا وشموا بحواس غير محسوسة ولمسوا « الكلمة » بالإيمان ، فجائهم منه فيض شفاهم من أمراضهم .

بهذه الطريقة رأوا ما كتبوا بأنهم رأوه ، وسمعوا ما قالوا إنهم سمعوه ، وكان أختبارهم مماثلاً عندما أكلوا درج الكتاب الذى أعطى لهم ، وذلك كما كتبوا (٣) . هكذا أيضاً شم إسحق رائحة ثياب أبنه الروحية ، وبعد البركة الروحية قال « رائحة أبنى كرائحة حقل قد باركه الرب (٤) . بنفس هذه الطريقة ، التى تجدها فى هذه المناسبات ، لمس يسوع الأبرص ، بطريقة روحية . لا بطريقة محسوسة ، ليشفيه - على ما أعتقد - بطريقتين ، ليخلصه ليس فقط من البرص المحسوس بلمسة محسوسة كما أعتقد الجماهير ، بل أيضاً من برص آخر بلمسته الإلهية الحقيقة .

على هذا المثال « شهد يوحنا قائلا إنى رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه ، لكن الذى

---

(١) ١ كو ٢ : ١٥ — (٢) ١ يو ١ : ١

(٣) حز ٢ : ٩ - ٣ : ٣ — (٤) تك ٢٧ : ٢٧

أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح االقدس . وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو أبن اللَّه » (١) . لقد أنفتحت السماء ليسوع ، ولم يذكر أن أحداً غير يوحنا رأى السماء مفتوحة فى ذلك الوقت .

لكن المخلص تنبأ بأن السماء سوف تنفتح بهذه الطريقة لتلاميذه وقال إنهم هم أيضا سوف يرون هذا يحدث : « الحق الحق أقول لكم من الآن سوف ترون السمـاء مفتوحة وملائكـة اللَّه يصعدون وينزلون على ابن الإنسان (٢) . هكذا أيضا أختطف بولس إلى السماء الثالثة ، بعد أن رآها مفتوحـة ، لأنه كان تلميذاً ليسوع . وليس هذا هو الوقت المناسب لتفسير لماذا قال بولس : أفى الجسـد لست أعلم . أم خارج الجسـد لست أعلم . اللَّه يعـلم » (٣) .

وعلاوة على هذا فإننى أضيف إلى بحثى النقطة التى ذكرها كلسس عندما ظن بأن يسوع نفسه تكلم عن أنفتاح السماوات ونزل الروح القدس عليه فى هيئة حمامة عند نهر الأردن . فالكتاب المقدس لم يبين فى الواقع أنه قال إنه رأى هذا . وهذا الأخ الصادق لم يدرك أن هذا لا يتفق مع صفات مَن قال لتلاميذه وقت الرؤيا التى ظهرت على الجبل ولا تعلموا أحدا بهذه الرؤيا حتى يقوم ابن الانسان من الاموات (٤) أن يكون قد اعلم تلاميذه بما رآه يوحنا وسمعه عند نهر الأردن .

(١) يو ١ : ٣٢ – ٣٤ (٢) مت١٧ : ٩ .
(٣) ٢ كو ١٢ : ٢ (٤) مت ٢ ١٧ : ٢٤

(ومما نلاحظه أيضاً أنه كان من عادة يسوع فى كل مكان أن يتجنب الحديث عن نفسه . وهذا هو السبب فى أنه قال « إن كنت أشهد لنفسى فسهمادتى ليست حقاً (١) . طالما كان قد تجنب الحديث عن نفسه ، وأراد أن يبين أنه هو المسيح ، وذلك بأعماله لا بأقواله ، فعلى هذا الأساس قال له اليهود « إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً » (٢) .

وكما أن هذا يهودى ذاك الذى تحدث ليسوع - فى هجوم كلسس - عن نزول الروح القدس مثل الحمامة قائلاً « ليس برهان سوى كلامك والدليل الذى قد تقدمه عن أحد الذين عوقبوا معك » ، فإننا نعلمه بأن هذه الأقوال التى وضعها فى فم اليهودى لا تتفق مع صفاته . فاليهود لم يروا هنالك علاقة بين يوحنا ويسوع ، ولا بين معاقبة يوحنا ومعاقبة يسوع . لذلك نرى هنا أيضاً أن ذاك الذى أفتخر بأنه يعرف كل شئ يُتهم بأنه لا يعرف أى كلام ينسبه لذلك اليهودى فى حديثه ليسوع .

(١) يو ٥ : ٣١
(٢) يو ١٠ : ٢٤

الفصل التاسع والأربعون

بعد هذا تعمد - لسبب غير معلوم - أن يتجنب أقوى حجة تؤيد سلطان يسوع ، أى أن أنبياء اليهود ، موسى والذين جاؤا بعده ، وحتى الذين كانوا قبله ، تنبأوا عنه وأعتقد أنه فعل هذا لعجزه عن تفنيد هذه الحجة . فإنه لا اليهود ولا أية شعبية أخرى يرفضون الاعتراف بأن الأنبياء تنبأوا عن المسيا . لكن لعله لم يعرف حتى النبوات المتعلقة بيسوع . ولو كان قد أدرك ما يؤكده المسيحيون أنه كان هنالك أنبياء كثيرون تنبأوا عن مجيء المخلص لما كان قد صنع فى فم ذلك اليهودى تلك الأقوال التى تليق بالحرى بسامرى أو صدوقى .

إن اليهودى الذى قُدم كشخصية وهمية لم يكن ممكناً أن يقول لكن نبى قال مرة فى أورشليم إن أن الله سوف يأتى « ليجازى الأطهار ويعاقب الأشرار» . إن مَن تنبأ عن يسوع لم يكن نبياً واحداً . وحتى إن قال السامريون والصديقيون - الذين لا يقبلون إلا كتب موسى - إن تلك الكتب تنبأت عن المسيا ، فإن النبوة - حتى فى هذه الحالة - لم ينطق بها فى أورشليم التى لم يكن لها ذكر بعد فى أيام موسى . إننى أودلو كان كل مقاومى الانجيل يجهلون: لا مجرد حقائق الكتاب المقدس بل مجرد نصوصه ،

(ومما نلاحظه أيضاً أنه كان من عادة يسوع فى كل مكان أن يتجنب الحديث عن نفسه . وهذا هو السبب فى أنه قال « إن كنت أشهد لنفسى فسهمادتى ليست حقاً (١) . طالما كان قد تجنب الحديث عن نفسه ، وأراد أن يبين أنه هو المسيح ، وذلك بأعماله لا بأقواله ، فعلى هذا الأساس قال له اليهود « إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً » (٢) .

وكما أن هذا يهودى ذاك الذى تحدث ليسوع - فى هجوم كلسس - عن نزول الروح القدس مثل الحمامة قائلاً « ليس برهان سوى كلامك والدليل الذى قد تقدمه عن أحد الذين عوقبوا معك » ، فإننا نعلمه بأن هذه الأقوال التى وضعها فى فم اليهودى لا تتفق مع صفاته . فاليهود لم يروا هنالك علاقة بين يوحنا ويسوع ، ولا بين معاقبة يوحنا ومعاقبة يسوع . لذلك نرى هنا أيضاً أن ذاك الذى أفتخر بأنه يعرف كل شىء يُتهم بأنه لا يعرف أى كلام ينسبه لذلك اليهودى فى حديثه ليسوع .

---

(١) يو ٥ : ٣١
(٢) يو ١٠ : ٢٤

الفصل التاسع والأربعون

بعد هذا تعمد - لسبب غير معلوم - أن يتجنب أقوى حجة تؤيد سلطان يسوع ، أى أن أنبياء اليهود ، موسى والذين جاؤا بعده ، وحتى الذين كانوا قبله ، تنبأوا عنه وأعتقد أنه فعل هذا لعجزه عن تفنيد هذه الحجة . فإنه لا اليهود ولا أية شعية أخرى يرفضون الاعتراف بأن الأنبياء تنبأوا عن المسيا . لكن لعله لم يعرف حتى النبوات المتعلقة بيسوع . ولو كان قد أدرك ما يؤكده المسيحيون أنه كان هنالك أنبياء كثيرون تنبأوا عن مجىء المخلص لما كان قد صنع فى فم ذلك اليهودى تلك الأقوال التى تليق بالحرى بسامرى أو صدوقى .

إن اليهودى الذى قُدم كشخصية وهمية لم يكن ممكناً أن يقول لكن نبى قال مرة فى أورشليم إن أن الله سوف يأتى « ليجازى الأطهار ويعاقب الأشرار» . إن مَن تنبأ عن يسوع لم يكن نبياً واحداً . وحتى إن قال السامريون والصديقيون - الذين لا يقبلون إلا كتب موسى - إن تلك الكتب تنبأت عن المسيا ، فإن النبوة - حتى فى هذه الحالة - لم ينطق بها فى أورشليم التى لم يكن لها ذكر بعد فى أيام موسى . إننى أودلو كان كل مقاومى الانجيل يجهلون: لا مجرد حقائق الكتاب المقدس بل مجرد نصوصه ،

(ومما نلاحظه أيضاً أنه كان من عادة يسوع فى كل مكان أن يتجنب الحديث عن نفسه . وهذا هو السبب فى أنه قال « إن كنت أشهد لنفسى فسهمادتى ليست حقاً (١) . طالما كان قد تجنب الحديث عن نفسه ، وأراد أن يبين أنه هو المسيح ، وذلك بأعماله لا بأقواله ، فعلى هذا الأساس قال له اليهود « إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً » (٢) .

وكما أن هذا يهودى ذاك الذى تحدث ليسوع - فى هجوم كلسس - عن نزول الروح القدس مثل الحمامة قائلاً « ليس برهان سوى كلامك والدليل الذى قد تقدمه عن أحد الذين عوقبوا معك » ، فإننا نعلمه بأن هذه الأقوال التى وضعها فى فم اليهودى لا تتفق مع صفاته . فاليهود لم يروا هنالك علاقة بين يوحنا ويسوع ، ولا بين معاقبة يوحنا ومعاقبة يسوع . لذلك نرى هنا أيضاً أن ذاك الذى أفتخر بأنه يعرف كل شئ يُتهم بأنه لا يعرف أى كلام ينسبه لذلك اليهودى فى حديثه ليسوع .

---

(١) يو ٥ : ٣١
(٢) يو ١٠ : ٢٤

الفصل التاسع والأربعون

بعد هذا تعمد - لسبب غير معلوم - أن يتجنب أقوى حجة تؤيد سلطان يسوع ، أى أن أنبياء اليهود ، موسى والذين جاؤا بعده ، وحتى الذين كانوا قبله ، تنبأوا عنه وأعتقد أنه فعل هذا لعجزه عن تفنيد هذه الحجة . فإنه لا اليهود ولا أية شعبية أخرى يرفضون الاعتراف بأن الأنبياء تنبأوا عن المسيا . لكن لعله لم يعرف حتى النبوات المتعلقة بيسوع . ولو كان قد أدرك ما يؤكده المسيحيون أنه كان هنالك أنبياء كثيرون تنبأوا عن مجىء المخلص لما كان قد صنع فى فم ذلك اليهودى تلك الأقوال التى تليق بالحرى بسامرى أو صدوقى .

إن اليهودى الذى قُدم كشخصية وهمية لم يكن ممكناً أن يقول لكن نبى قال مرة فى أورشليم إن أن الله سوف يأتى « ليجازى الأطهار ويعاقب الأشرار» . إن مَن تنبأ عن يسوع لم يكن نبياً واحداً . وحتى إن قال السامريون والصديقيون - الذين لا يقبلون إلا كتب موسى - إن تلك الكتب تنبأت عن المسيا ، فإن النبوة - حتى فى هذه الحالة - لم ينطق بها فى أورشليم التى لم يكن لها ذكر بعد فى أيام موسى . إننى أودلو كان كل مقاومى الانجيل يجهلون لا مجرد حقائق الكتاب المقدس بل مجرد نصوصه ،

ويهاجمون المسيحية بكيفية تجعل حجتهم تفقد معقوليتها فتجعل الثابتين ، الذين « يؤمنون إلى حين (١) » يرتدون لا عن إيمانهم ، بل عن إيمانهم الضعيف . واليهودى لا يعترف بأن « نبياً معينا قال إن أبن الله يأتى » . والواقع إنهم طالما شددوا الحديث فى مواضيع عن هذا اللقب ، لقب أبن الله ، قائلين إنه لا يوجد شخص كهذا ، وإن الانبياء لم يذكروا عنه شيئاً . ونحن لا نقول إنه لا يليق بصفات اليهودى - الذى لا يعترف بشىء من هذا القبيل - أن ينسب إليه هذه الكلمات « قال نبى مرة فى أورشليم إن أبن الله سوف يأتى » .

الفصل الخمسون

إذن فكأن هذه النبوة وحدها هى التى ذكرت أنه « يجازى الاطهار ويعاقب الأشرار » . وكأنه لم تأت نبوة عن مكان ولادته ، أو الآلام التى يتحملها على أيدى اليهود ، أو قيامته ، أو المعجزات الباهرة التى يجريها ، فقال « لماذا تخضعون لهذه النبوات ولا تخضعون بالأحرى للألوف الذين عاشوا بعد النطق بالنبوة » ؟ لقد أراد - لسبب غير ، معلوم - أن ينسب للآخرين إمكانية الإشارة

---

(١) لو ٨ : ١٣ ، مر ٤ : ١٧

إليهم فى النبوات ، فقال « يقول البعض ممن هم فى سعة ، وغيرهم ممن يتجولون ليسجدوا ، إنهم أبناء الله أتوا من فوق » . لكننا لم نلاحظ بأن اليهود أعترفوا بناء على هذا أقول أولا إن أنبياء كثيرين تنبأوا بطرق كثيرة بأمورعن المسيح ، البعض بألغـاز ، وغيرهم بالمجاز أو بطرق أخرى ، بل تنبأ البعض بتعبيرات ، صريحة . وأخيراً قال – فى كلمات نسبت إلى ذلك اليهودى عندما كا يخاطب المؤمنين من شعبه – « إن النبوات التى تنطبق على هذا الأنسـان يمكن أن نشير أيضاً إلى حوادث أخرى » الأمر الذى يقوله بمكر ولمقاصد شريرة . من أجل هذا سوف نختار نبوات قليلة من بين النبوات الكثيرة جداً ، وبها أتحدى أى واحد يريد أن يقدم حجة قوية تدحضها ، أو تزعزع إيمان المؤمنين الأذكياء .

الفصل الحادى والخمسون

أما عن مكان ميلاده فقد قيل « إن الحاكم يأتى من بيت لحم » فى الكلمات التالية : « أما أنت يا بيت لحم ، بيت أفراته ، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا ؟ فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل »

(١) هذه النبوة لا يمكن أن تنطبق على أى واحد ممن هم فى سعة أو ممن يتجولون ليستجدوا ، الذين يقولون إنهم أتوا من فوق ، كما يزعم يهودى كلسس ، إلا إذا كان واضحا جداً أن الرجل ولد فى بيت لحم ، أو كما يقول آخر إنه أتى من بيت لحم ليحكم الشعب ، وأن أراد أحد برهاناً آخر ليقنعه أن يسوع فى الأناجيل ، فليلاحظ أنه ، وفقاً لرواية الانجيل عن ميلاده ، لازالت مغارة بيت لحم (٢) التى ولد فيها قائمة للآن ، ومذود المغارة الذى وضع فيها مقمطاً . وما هو قائم معروف فى هذه الأرجاء حتى بين الغرباء عن ديانتنا ، نظراً لأن يسوع الذى يعبده المسيحيون ويمجدونه قد وُلد فى هذه المغارة .

وأعتقد أنه قبل مجىء المسيح كان رؤساء الكهنة وكتبة الشعب ينادون بأن المسيح سوف يولد فى بيت لحم نظراً لوضوح هذه النبوة . ولقد وصل هذا التفسير حتى إلى عامة اليهود ، هذا يفسر لماذا كتب أن هيرودس سأل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب فعلم منهم أن المسيح يولد فى بيت لحم اليهودية التى « كان داود فيها » (٣) .

---

(١) مى ٥ : ٢

(٢) ذكر الكثيرون هذه المغارة فى مؤلفاتهم أمثال يوستينوس ، وأريجانوس ، وأبيفانيوس ، وجيروم ، وفيلوكسينوس ... أخ

(٣) يو ٧ : ٤٢

وعلاوة على هذا فقط ذكر فى أنجيل يوحنا أن اليهود قالوا يولد فى بيت لحم « التى كان داود فيها » . لكن بعد مجىء المسيح أنشغل الناس بابادة هذه الفكرة أن الأنبياء تنبأوا عن ميلاده منذ القديم ، وأنتزعوا هذه العقيدة من الشعب . وكان تصرفهم هذا شبيهاً بتصرف الذين تغلبوا على جند الحرس عند القبر الذين شهدوا قيامته من الأموات وأذاعوها وأقنعوهم باعطائهم بعض المال ، قائلين لهم « قولوا إن تلاميذه أتوا ليلا وسرقــوه ونحن نيام . وإذا سمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين » (١) .

الفصل الثانى والخمسون

إن التحيز والمشاجرات مزعجة لأنها تجعل الناس لا يكترثون حتى بالحقائق الواضحة ، وتمنعهم من الاقلاع عن العقائد التى تعودوها ، والتي تشكل وتضيع نفوسهم (٢) . والواقع إنه أيسر للانسان أن يقلع عن عاداته فى نواح أخرى ، حتى إذا ما وجده من العسير أن ينتزع نفسه منها ، عن أن يقلع عن معتقداته الدينية ، ومع ذلك فالناس الذين تأصلت فيهم عاداتهم لا يجــدونه

---

(١) مت ٢٨ : ١٣ و ١٤

(٢) أنظر ما كتبه سنيكا فى كتابه Ep.Lxxi, 31

ميسوراً أن يهجروا مالا يتصل بالناحية الدينية ، وهكذا نرى أن الناس الذين يتحيزون لبيوت معيبــة ، أو مدن معينة ، أو قرى معينة ، أو لأصدقاء أليفين ، لا يجدونه ميسوراً أن لا يكترثون بالإتمام الواضح للنبوات ، وبالعجائب التى تممها يسوع وبالآلام التى قيل إنه تحملها .

أما إن هذا كان هو الاختبار الطبيعى للناس ، فيتضح للذين يلاحظون أن من يتحيزون حتى لتقاليد آبائهم ومواطنيهم المخجلة جداً والباطلة جداً ، لا يسهل تغيير آرائهم . فمثلا لا يستطيع المرء أن يقنع المصرى بسهولة بأن يحتقر ما أستلمه من آبائه ، فلا يؤله أي حيوان غير عاقل ، أو يحذر من أن يذوق لحم حيوان من هذا القبيل حتى ولو أدى أمتناعه إلى الموت .

ومع أننا دخلنا فى التفاصيل فإننا إذ نناقش - على أوسع مدى - هذا الموضوع المتعلق ببيت لحم والنبوة الواردة عنه ، نراه ضرورياً أن نفعل هذا رداً على من يريدون أن يقولوا بأنه إن كانت النبوات عن يســوع ، التى بين أيدى اليهود ، واضحة بهذه الكيفية ، فلماذا إذن لم يقبلوا تعاليمه عندما جاء ، ولم يغيروا حياتهم إلى مستوى التعاليم السامية جداً التى بينها لهم يسوع ؟ لكن يجب أن لا يوجه أى واحد لوماً من هذا القبيل لأى واحد منا نحن المؤمنين ، عالماً بأن تلك الدوافع القوية للإيمان بيسوع قد قدمها أولئك الذين تعلموا أن يصفوها .

الفصل الثالث والخمسون

وإن أحتاج الأمر لنبوة أخرى تشير بوضوح ليسوع ، فإننا نذكر تلك التى كتبها موسى قبل مجىء يسوع بسنوات طويلة عندما روى كيف أن يعقوب قبيل مغادرة هذه الحياة تنبأ لكل واحد من أولاده ، وقال ليهوذا ، ضمن ما قاله : « لايزول الحاكم من يهوذا والقائد من صلبه حتى تأتى الأشياء المدخرة له (١) » . وكل من يقرأ هذه النبوة ، التى هى فى الواقع أبعد جداً من موسى ، حتى وإن رأى غير المؤمنين أن موسى هو الذى نطق بها ، تدهشه تلك الطريقة التى أستطاع بها موسى أن يتنبأ بأن ملوك اليهود ، الذين كان لهم أثنا عشر سبطاً ، يولدون من سبط يهوذا ، ويحكمون الشعب ، هذا هو السبب الذى لأجله دعى كل الشعب يهوداً ، لأنهم دعوا بأسم السبط الرئيسى .

ثم إن من يقرأ النبوة بذهن مفتوح يدهش من الطريقة التى بها – بعد أن قال إن حكام الشعب وقادتهم يخرجون من سبط يهوذا – حدد أيضاً الوقت الذى فيه ينتهى الحكم نفسه ، وذلك عندما قال : « لا يزول الحاكم من يهوذا والقائد من صلبه حتى يأتى ما هو مدخر له وهو يكون منتظر شعوب » .

---

(١) تك ٤٩ : ١٠

لقد أتى مسيح الله ، الذى لأجله أدخرت الأشياء ، وهو الحاكم الذى تحدثت عنه مواعيد الله ، واضح أنه كان هو الشخص الوحيد بين كل من سبقوه ، وأتجاسر على القول بين كل الذرية أيضاً ، الذي كان مشتهى الأمم . لقد آمن بالله ، عن طريقه ، أناس من كل الأمم ، وكما قال أشعياء ، لقد وضعت الأمم رجاءهم فى أسمه ، عندما قال : « سوف تعتمد الأمم على أسمه » .

ونظراً لأن « كل رجل يمسك بحبال خطيته (١) « فقد قال يسوع أيضاً للذين فى السجن « أخرجوا » وأمر الذين فى الجهل بأن يأتون إلى النور . هناك نص هذه النبوات « وأجعلك عهداً للشعب لاقامة الأرض لتمليك أملاك البرارى فتقول للذين فى السجن أخرجوا ، وللذين فى الظلام أظهروا (٢) » وبمجيئه نقدر أن نرى - فى بسطاء المؤمنين فى كل العالم - إتمام هذه الكلمات « على الطرق يرعون وفى كل الهضاب مرعاهم (٣) » .

---

(١) أم ٥ : ٢٢ (٢) أش ٤٩ : ٨ و ٩

(٣) أش ٤٩ : ٩

الفصل الرابع والخمسون

وبما أن كلسس – الذى يعترف بأنه يعرف كل شىء عن الأنجيل – يعير المسيح من جهة آلامه ، قائلا إن أباه لم يسعفه ، وإنه هو عجز عن أن يسعف نفسه ، فإننى أراه لزاماً علىّ أن اؤكد بأن آلامه قد تنبىء عنها كما تبىء عن السبب الذى دعا إليها ، وهو أنه كان خيراً للبشر أن يموت عنهم ويتحمل الجلدات التى جلد بها ، وتتنبىء أيضا بأن الأمم سوف يفهمونه (يدركونه) ، مع أن الأنبياء لم يعيشوا بينهم . وقيل بأنه سوف يبدو فى منظر غير موقر ، كما يرى الناس . وهاك ما قيل فى النبوة :

« هوذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتمجد ويتسامى جداً . كما أندهش منك كثيرون . كان منظرك كذا مفسداً بين البشر ومجدك بين بنى آدم . هكذا يندهش منه أمم كثيرون ويسد ملوك أفواههم . لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به ، ومن لم يسمعوه سوف يفهمونه (يدركونه) يارب من صدق خيرنا ؟ ولمن أستعلنت ذراع الرب . لقد نادينا قدامه كطفل ، وكعرق فى أرض عطشانة . لا صورة له ولا مجد . ونحن نظرنا إليه فلم تكن له صورة ولا جمال . لكن صورته كانت محتقرة ومخذولة أكثر من أى إنسان آخر . رجل

أوجاع تعلم كيف يتحمل المرض . ولأنه حول وجهه فقد صار محتقراً لا يعتد به . هذا الرجل يحمل خطايانا ويتحمل عنا أوجاعنا . ونحن حسبناه مصاباً مضروباً ومذلولا . لكنه مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه . وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه .

والرب أسلمه لأجل خطايانا . وبسبب نكبته لم يفتح فاه . كشاة سيق إلى الذبح وكحمل صامت أمـام جازيه ، فلم يفتح فاه . فى تواضعه أنتزع قضاؤه وجيله من يخبربه ؟ لأن حياته تنتزع من الأرض ، وسيق إلى الموت من أجل ذنوب شعبى (١) » .

الفصل الخامس والخمسون

أتذكر أننى فى مناقشة مع من يعتبرهم اليهود علماء (٢) أستخدمت هذه النبوات . وعندئذ قال ذلك « اليهودى » إن هذه النبوات تشير إلى الشعب كله كأنه شخص واحد ، لأنهم كانوا مشتتين فى الشتات ، ومضروبين لكى تكون نتيجة تشتت اليهود بين الأمم الأخرى إنضمام الكثيرين إلى اليهودية . بهذه الطريقة فسر الآية القائلة « سوف تكون صورتك كريهة بين البشر » ، والآية « سوف يبصـره الذين لم يعلن لهـم عن شـخصه » ، والآية « نحن حسبناه مضروباً . »

---

(١) إش ٥٢ : ١٣ - ٥٣ : ٨

(٢) أى الربيين .

وعندئذ قدمت فى المناقشة حججاً كثيرة برهنت على أنه ليس هنالك أى مبرر لجعل هذه النبوات تشير إلى شخص واحد يمثل كل الشعب . ثم سألت عن الشخص الذى يمكن أن يكون قد أشير إليه فى الآية « هذا الرجل يحمل خطايانا ويتحمل عنا أوجاعنا » ، والآية « لكنه مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا » ، وسألت عن الشخص الذى يليق بأن يقال عنه « بحبره شُفينا » .

واضح أن الذين يقولون هذا كانوا سابقاً فى خطاياهم ، ثم شفوا بآلام المخلص ، سواء كانوا يهوداً أم أمماً . ولقد سبق للنبى أن رأى هذا ووضع هذه الكلمات فى أفواههم بالهام الروح القدس . بدا كأننا وضعناه فى مركز حرج بهذه الكلمات « وسيق إلى الموت من أجل ذنوب شعبى » . فإن كان الشعب - حسب زعمهم - هم موضوع النبوة فلماذا قيل إن هذا الرجل سيق إلى الموت من أجل ذنوب شعب الله إن كان لا يختلف عن شعب الله ؟ من يكون هو إذن إن لم يكن هو يسوع المسيح الذى بجلدته شفينا نحن الذين نؤمن به ، عندما جرد الرياسات والسلاطين بيننا ، وأشهرهم جهاراً على الصليب (١) » .

وعلى أى حال إنه من المناسب فى فرصة أخرى أن نوضح كل نقطة فى النبوة ، وندرس كل التفاصيل . ومع أن هذه النقطة قد أستوقفت إيضاحاً مستفيضاً ، فأعتقد أن هذا كان ضرورياً بسبب الفقرة التى أقتبسناها ، من يهودى كلسس .

---

(١) كو ٢ : ١٥

الفصل السادس والخمسون

لم يلاحظ كلسس ، يهودى ، كل من لم يؤمنوا بيسوع ، أن النبوات تتحدث عن مجيئين للمسيح . فى المجىء الأول خضع لآلام البشرية ، والإذلال الشديد ، حتى يمكن للمسيح - بوجوده بين البشر - أن يعلم الطريق المؤدى إلى الله . وإن لا يترك لأى إنسان يحيا هذه الحياة فرصة للدفاع عن نفسه على أساس أنه لا يعرف شيئاً عن الدينونة القادمة .

وفى المجىء الثانى سوف يأتى فى مجد ، وفى اللاهوت فقط ، دون أن يوجد فيه أى عنصر من الضعف البشرى ممترج بعظمته الإلهية . ويطول بنا المقام جداً لو أقتبسنا كل هذه النبوات ، ويكفى فى هذه اللحظة أن نقتبس النبوة الواردة فى المزمور الرابع والأربعين ، الذى دعى - كغيره من مزامير أخرى - « ترنيمة للمحبوب » ، حيث يخاطب المسيح بوضوح كإله فى الكلمات التالية « إنسكبت النعمة على شفتيك . لذلك باركك الله إلى الأبد . تقلد سيفك على فخدك أيهـا الجبار فى جلالك وبهائك . وبجلالك أقتحم . إركب من أجل الحق والدعة والبر . فترشدك يمينك بكيفية

عجيبة . نبلك مسنونة أيها الجبار . شعوب تحتك يسقطون تدخل فى قلب أعداء الملك (١) .

ولاحظ ما يلى بتدقيق ، حيث يقال عنه بأنه هو الله . لأن الكتاب المقدس يقول « عرشك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب أستقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك (٢) . لاحظ أن النبى يخاطب إلهاً عرشه إلى دهر الدهور ، وإن قضيب ملكه قضيب أستقامة ، ثم إنه يقول إن هذا الإله مسحه إله هو إلهه . وإنه مسح لأنه أحب البر وأبغض الأثم أكثر من رفقائه . أذكر أننى بهذه الآيات وضعت ذلك اليهودى فى مشقات كثيرة ، مع أنه كان يظن بأنه حكيم لم يعرف كيف يفسرها ، وأجاب بطريقة تتفق مع يهوديته بقوله إن الكلام وجه إلى إله المسكونة عندما قال « عرشك يا الله إلى دهر الدهور ، قضيب أستقامة قضيب ملكك » . لكن المسيا هو الذى وجه إليه هذه الكلمات : « أحببت البر وأبغضت الأثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك ... » ألخ .

---

(١) مز ٤٥ : ٣ – ٨

(٢) ٤٥ : ٦و٧

الفصل السابع والخمسون

وأيضاً قال ذلك اليهودى للمخلص « إن كنت تقول بأن كل إنسان صار أبنا لله بعناية إلهية ، فما هو الفرق بينك وبين أى إنسان آخر (١) » ؟ ونحن نرد عليه بأن كل إنسان لا يخضع بعد للخوف كمؤدب له ، كما يعبر الرسول بولس (٢) ، بل يختار ما هو صالح له ، هو أبن الله . أما يسوع فهو أسمى جداً من أى إنسان يدعى ابن الله بسبب فضيلته ، فإنه هو أصل ونبع كل الفضائل . وهاك كلمات الرسول بولس « وأنتم لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى نصرخ يا أبا الآب (٣) » .

ثم يقول يهودى كلسس « لكن ألوفاً يكذبون يسوع ، مؤكدين أن النوبيات التي طبقت عليه تتحدث عنهم » ونحن لا ندرى إن كان كلسس قد عرف أى أشخاص جاءوا إلى هذه الحياة وأرادوا أن يقتدوا بيسوع ويعطوا أنفسهم لقب أبناء الله ،

---

(١) هذه قد تعنى « إن كنت تقول إن كل إنسان مولود بترتيب العناية الإلهية يصير أبناً لله الخ » .

(٢) غل ٣ : ٢٤ و ٢٥ (٣) رو ٨ : ١٥

أو « قـوة الله (١) » . وطالما كنا ندرس هذا الموضوع بأمانة فإننا نقول إنه كان بين اليهود - قبل ميلاد المسيح - شخص يدعى ثوداس « قال عن نفسه إنه شىء ... وجميع الذين خدعهم تبددوا بعد موته . بعد هذا قام يهوذا الجليلى فى أيام الاكتتاب (الأيام التى ولد فيها يسوع) وأزاغ وراءه شعباً غفيراً من اليهود » كأنه رجل حكيم جاء بتعليم جديد . وعندما لقى هو أيضاً قصاص الموت ، تلاشى تعليمه ولم يبق إلا عند أشخـاص قليلين جداً خاملين (٢) .

وبعد أيام يسوع على الأرض أراد أيضاً دوسيثيوس (٣) السامرى أن يقنع السامريين بأنه هو المسيح الذى تنبأ عنه موسى ، وبدا بأنه أستمال بعض الناس بتعليمه . لكن يحسن بنا أن نقتبس القول الحكيم جداً الذى نطق به غمالائيل ، المدون فى سفر أعمال الرسل ، لنبين بأن إولئك الأشخاص لم يكن لديهم أى دخل فى الوعد ، ولم يكونوا أبناء الله ، ولا قواته ، أما يسوع المسيح فهو حقاً ابن الله . وهاك ما قاله غمالائيل « إن كان هذا الرأى أو هذا التعليم من الناس فسوف ينتقض » كما أنتقض تعليمهم بعد موتهم ، « وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوا تعليم هذا الإنسان . لئلا توجدوا محاربين لله أيضاً (٤) » .

---

(١) أع ٨ : ١٠ (٢) أع ٥ ٣٦ و٣٧ (٣) Dositheus
(٤) أع ٥ : ٣٨ و ٣٩

ولقد أراد سيمون الساحر السامرى أيضاً أن يجذب إليه بعض الناس بسحره ، ونجح وقتياً فى تضليله (١) . وأعتقد أنه لا يمكن أن يوجد الآن فى العالم من أتباع سيمون ثلاثين ، ولعلى بالغت فى عددهم ، يوجد عدد قليل جداً منهم فى فلسطين ، بينما لا يوجد له ذكر فى سائر أرجاء العالم ، مع أنه كان يطمع بأن تنتشر سمعته فى كل العالم . وحيثما ذكر أسمه فلا يذكر إلا من سفر أعمال الرسل ، والوحيدون الذين يتحدثون عنه هم المسيحيون ، بينما تشهد الحقائق بوضوح أن سيمون لم يكن فيه شيء روحى .

الفصل الثامن والخمسون

بعد هذا تحدث يهودى كلسس عن الكلدانيين بدلا من المجوس الوارد ذكرهم فى الانجيل وقال « إنهم بناء على الوصف الوارد عن يسوع تحركوا ليأتوا إلى مكان ولادته ويعبدوه كإله ، مع أنه كان لا يزال طفلا ، وأعلموا هيرودس رئيس الربع (٢) بهذا . أما هو فقد أرسل رجالاً ليقتلوا الذين كانوا قد ولدوا وقتئذ ، ظاناً بأنه يقتله هو أيضاً معهم ، لئلا يصير ملكاً إذ ما عاش ووصل إلى سن البلوغ » .

---

(١) أع ٨ : ٩ - ١١

(٢) وهنا يخلط كلسس بين هيرودس رئيس الربع (لو ٣ : ١) وهيرودس العظيم (مت ٢ : ١ : - ٣) .

أنظر هنا تخبط الرجل الذى لم يميز بين المجوس والكلدانيين ، ولم يدرك مهناتهم المختلفة ، والذى - لهذا السبب - أفسد ما هو مكتوب فى الانجيل . ولسبب غير معلوم تحاشى أن يذكر الباعث الذى أثر فى المجوس ، ولم يقل إنه نجم رأوه فى المشرق كما هو مدون فى الإنجيل .

فلننظر إذن فيما نرد على هذا . نحن نعتقد بأن النجم الذى ظهر فى المشرق كان نجماً جديداً (١) وليس كأى نجم عادى ، لا فى المنطقة الثابتة ولا فى المنطقة السفلية ، لكنه يُحسب فى عداد المذنبات التى تشاهد فى أحيان كثيرة ، أو النيازك ، أو النجوم الملتحمية ، أو النجوم التى على شكل الجرار ، أو أى أسم مما يصف به اليونانيون أشكالهم المختلفة . ونحن نؤيد هذه النقطة كما يلى :

الفصل التاسع والخمسون

لقد لوحظ أنه ، عند الحوادث الهامة وتغيرات التاريخ البعيدة الأثر ، تظهر نجـوم من هذا النوع للإشارة إلى تغييرات فى الأسر ، أو الحروب ، أو أى شىء يحدث بين البشر تكون له نتيجة

(١) هذا ما يؤيده أكليمنضس وأغناطيوس .

تؤثر على الشئون الأرضية . لقد قرأنا ، فى الكتاب الذى كتبه كيريميون (١) الرواقى عن المذنبات ، كيف كانت المذنبات تظهر أحيانا حتى عندما تكون هنالك حوادث سارة مزمعة أن تحدث ، وأعطى أمثلة لهذه . فإن ما ظهر مذنب ، كما يدعونه ، أو نجم مماثل عند ظهور أسرة جديدة ، أو أى حدث جليل على الأرض ، فلماذا يكون مذهلا أن يظهر نجم عند ولادة إنسان كان ينبغى أن يأتى بآراء جديدة بين الجنس البشرى ، ويقدم تعليماً ليس لليهود فقط بل أيضاً لليونانيين ولأمم بربرية كثيرة أيضاً ؟

وعلى أى حال فإننى أود أن أقول بأنه لا توجد نبوة متداولة عن مذنبات قائلة إن مذنبات يظهر مع أسرة معينة ، أو فى وقت معين . أما النجم الذى ظهر وقت ولادة يسوع فقد تنبأ عنه بلعام كما دون موسى عندما قال « يبرز كوكب من يعقوب ويقوم رجل من إسرائيل (٢) » . وإن كان ضرورياً البحث عما يقوله الكتاب المقدس عن المجوس وقت ولادة يسوع ، وعن النجم الذى ظهر ، فإننا نقدم التفسير التالى ، موجهين بعض الملاحظات لليونانيين ، وأخرى لليهود .

---

(١) Chaeremon وقد كان معلماً لنيرون .

(١) عدد ٢٤ : ١٧

الفصل الستون

فلليونانيين أقول هذا ، إن المجوس على أتصال بالأرواح (١) وبتوجيههم يستخدمونهم فى الأغراض التى يريدونها . وهم ينجحون فى هذه الأعمال طالما كان لا يظهر شىء أكثر روحانية فإن قوة الأرواح تتبدد طالما كانت لا تقدر أن تقاوم نور القوة الإلهية .

وبناء على هذا يرجع أنه فى وقت ولادة يسوع - كما دون لوقا وكما أعتقد أنا شخصياً - وعندما ظهر « جمهور من الجند السماوى وسبحوا الله قائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة (٢) » كانت نتيجة هذا أن الأرواح فقدت قوتها ، وصارت ضعيفة ، ونقض سحرها وتلاشت قوتها ، ولم يهدمها فقط الملائكة الذين أفتقدوا الأرض بمناسبة ولادة يسوع ، بل أيضاً روح يسوع ، والقوة الإلهية التى فيه .

وبناء على هذا عندما أراد المجوس تأدية ممارساتهم العادية التى كانوا يتممونها سـابقاً بتعويذة معينة وبخداعهم ، حاولوا أن

---

(١) daemons وهى أرواح تحتل مكانة بين الآلهة والبشر .

(٢) لو ٢ : ١٣ و ١٤

يعرفوا السبب الذى لأجله لم تعد هذه فعالة ، فأدركوا أن السبب لابد أن يكون جوهرياً وإذ رأوا علامة من اللّٰه فى السماء أرادوا أن يدركوا ماذا كانت تدل عليه . وأعتقد أنهم كانت لديهم نبوات بلعام التى دونها موسى الذى كان هو أيضاً خبيراً بهذه الأمور . فوجدوا هناك النبوة الخاصة بالنجم وهذه الكلمات « أريه ولكن ليس الآن ، أدعوه مباركاً مع أنه ليس قريباً (١) » . فتراءى لهم أن الشخص الذى تنبىء عنه بأنه آت مع النجم قد وصل . وإذ كانوا قد أدركوا فعلا أنه أسمى من كل الأرواح وكل الكائنات التى كانت تظهر لهم عادة ، وأنه أحدث نتائج سحرية معينة ، أرادوا أن يسجدوا له .

لهذا أتوا إلى اليهودية لاقتناعهم بأن ملكاً معيناً قد وُلد ، ولأنهم عرفوا المكان الذى يولد فيه ، لكن دون أن يعرفوا المملكة التى يملك عليها . وأحضروا الهدايا التى قدموها إلى ذاك الذى كان مزيجاً من اللّٰه والإنسان الذى يموت . وكانت هذه الهدايا رمزية ، فالذهب قدم إليه كملك ، والمر إلى شخص يموت ، واللبان قدم إلى اللّٰه ، هذه قدموها عندما عرفوا مكان ولادته .

ونظراً لأن مخلص الجنس البشرى كان إلهاً ، وأسمى من الملائكة التى تغيث البشر ، فقد ظهر ملاك وكافأ المجوس من أجل تقواهم وسجودهم ليسوع بتحذيرهم من العودة لهيرودس ، وأمرهم بالأمر بالعودة إلى بلادهم عن طريق أخرى .

---

(١) عد ٢٤ : ١٧

الفصل الحادى والستون

لا يدعو إلى الدهشة أن هيرودس تآمر ضد الطفل ، ورغم أن اليهودى كلسس لم يرد أن يؤمن بأن هذا حدث فعلا . لأن الشر قوة عمياء ، وإذ يتوهم بأنه أقوى من مصير الإنسان يفكر فى التغلب عليه . كانت هذه هى حال هيرودس . فقد أعتقد بأن ملك اليهود قد ولد ، ومع ذلك تصرف بما لا يتفق مع هذا الأعتقاد . لم ير بأنه إما يكون ملكاً ولا بد أن يملك بأى حال من الأحوال ، أو أنه لا يملك ولذلك فمن العبث أن يقتله . وبناء على هذا فإنه إذ رغب فى قتله صار خاضعا لنوازع متعارضة بسبب شره ، وأندفع وراء الشيطان الأعمى الشرير ، الذى تآمر من البدء على المخلص ، إذ كانت له فكرة بأن يسوع سوف يصير شخصيه عظيمة . لذلك فإن الملاك الذى يتطلع على مجرى الحوادث ، حتى وإن لم يؤمن كلسس بهذا ، حذر يوسف وأمره بأن يهرب بالصبى وأمه إلى مصر .

لكن هيرودس قتل كل أطفال بيت لحم وتخومها ، قاصداً بهذا أن يشمل القتل ذاك الذى ولد ملكا لليهود وهو لم يرتلك القوة التى لا تنعس ولا تنام التى تحرس من يسحقون الحمامة والحفظ لخلاص البشر .

كان يسوع هو أول هؤلاء ، لأنه أعظم الجميع فى المجد والسمو فقد كان لابد أن يكون ملكاً ، لا بالطريقة التى تخيلها هيرودس ، بل لأنه كان لائقا أن يعطيه الله ملكوتاً لخير الذين يملك عليهم ، لأنه كان مزمعا أن يغدق على رعاياه خيرات ليست بقليلة ، بل يهذبهم ويرشدهم بنواميس إلهية حقيقية .

ويسوع أيضا عرف هذا ، وأنكر بأنه سيكون ملكاً بالمعنى الذى توقعته الجموع . ونادى بأن مملكته لها صفة خاصة قائلا « مملكتى ليست من هذا العالم لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود . ولكن الآن ليست مملكتى من هذا العالم »(١) .

ولو كان كلسس قد رأى هذا لما كان قد قال « إن كان هيرودس قد فعل هذا لكى لا تملك بدلا عنه متى كبرت ، فلماذا لم تملك عندما كبرت لكنك كنت تتجول مستعطيا بكيفية مزرية مع أنك أبن الله ، تموت من الخوف ، وتهيم على وجهك هنا وهنالك فى فاقة شديدة »؟

لكنه ليس بالأمر المزرى ، الحرص على تجنب الأخطار ، لا خوفا من الموت ، بل من أجل تقديم المساعدة للآخرين بالاستمرار فى الحيـــاة إلى أن يحين الوقت الذى كان يليق بذاك الذى أتخـــذ لنفسه البيعة البشرية أن يموت موتاً طبيعياً أغدق الخير على الجنس البشرى . هذا أمر واضح لكل من أدرك أن يسوع مات عن البشر . ولقد تحدثنا فى المناقشات السابقة عن الموضوع بقدر أستطاعتنا .

---

(١) يو ١٨ : ١٦

الفصل الثانى والستون

بعد هذا قال ، وهو لا يعرف حتى عدد الرسل « لقد جمع يسوع حوله عشرة رجال أو أحد عشر من أشر محصلى الضرائب والملاحين ، ،مع هؤلاء هرب هنا وهنالك جامعاً سبل المعيشة بطريقة مزرية وبإلحاح مخز » .

والآن لنرد على هذا على قدر إمكاننا . إن الأمر واضح لقراء الأناجيل . التى يبدو بأن كلسس قد أهمل حتى قراءتها ، أن يسوع أختار أثنى عشر رسولا ، ولم يكن من بينهم محصل ضرائب سوى متى وحده . ولعل الذين لخبط بصددهم زاعما أنهم ملاحون هم يعقوب ويوحنا نظراً لأنهما تركا السفينة وأباهما زبدى وتبعا يسوع . لأن بطرس وأخاه أندراوس ، اللذين كسبا معيشتهما بشكبة صيد ، لا يعتبران ضمن الملاحين بل بين الصيادين كما يقول الكتاب المقدس .

إننى أسلم بأن لاوى أيضاً الذى تبع يسوع كان محصل ضرائب ، لكنه لم يكن ضمن الرسل ، إلا كما ورد فى إحدى نسخ إنجيل مرقس . لكننا لا نعرف ماذا كانت مهنة الباقين التى كانوا يحصلون منها على معيشتهم قبل أن يصيروا تلاميذ يسوع .

وإننى اؤكد أيضاً - رداً على هذا - بأن الذين يدرسون موضوع رسل يسوع دراسة بفهم وتعقل يتضح لهم أن هؤلاء الناس نادوا بالمسيحية ونجحوا فى المجىء بالكثيرين لإطاعة كلمة اللّٰه بقوة إلهية . لأنهم لم تكن فيهم قوة الكلام أو سرد رواية منظمة وفق المستوى اليونانى المنطقى البليغ الذى يقنع مستمعيهم .

ويبدو لى أنه لو كان يسوع قد أختار بعضا ممن هم حكماء فى أعين الجمـــوع ، ذوى قدرة على التفكير والتكلم ؟ يتفق مع الجماهير ، ولو كان قد أستخدمهم كوسائل لنشر تعليمه ، لكان قد ُشك كثيراً فى أنه أستخدم طرقاً مماثلة لطرق الفلاسفة الذين هم قادة شيعة معينة ، ولما أتضح من الأدلة الذاتية بأن تعليمه إلهى ، لأن الأنجيل والبشارة به كانا بكلام الحكمة المقنع المتضمن فى الأسلوب الكتابى المنمق ، ولأصبح الإيمان - كإيمان فلاسفة هذا العالم فى تعاليمهم - بحكمة الناس ، لا بقوة اللّٰه .

لو كان أى واحد رأى جماعة من الصيادين ومحصلى الضرائب الذين لم يتلقوا حتى الدراسة الابتدائية (كما تسجل رواية الإنجيل عنهم الى صدقها كلسس فى هذه الناحية قائلا إنها كانت صادقة فيما قالته عن أن التلاميذ كانوا غير متعلمين) والذين بشجاعة عظيمة كلموا اليهود عن إيمان يسوع ، وبشروا به بنجـاح بين الأمم الأخرى ، أما كان قد أجتهد بأن يكتشف مصدر قوتهم المقنعـة ؟ لأنها لم تكن تلك القـــوة التى تحسبها عامة الشـــعب قوة .

من ذا الذى لا يقول إن يسوع قد تمم هذا القول « هلم ورائى فأجعلكم صيادى الناس (١) » بقوة إلهية معينة فى رسله ؟ وبعد أن تبين بولس الرسول هذا ، كما سبق أن بيننا ، قال « وكلامى وكرازتى لم يكون بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الـروح والقوة لكى لا يكون إيماننا بحكمة الناس بل بقوة الله (٢) » . ووفقاً لما قيل فى الأنبياء عندما أذاعوا الكرازة بالأنجيل « أعطى الرب ، ملك قوات الحبيب ، كلمة للمبشرين بالأنجيل بقوة عظيمة (٣) » . وهكذا تمت النبوة القائلة « وسريعاً جداً تجرى كلمته (٤) » . ونحن نرى أن صوت رسل يسوع « خرج فى كل الأرض وإلى أقصى المسكونة كلماتهم (٥) . وبناء على هذا فإن الذين يسمعون الكلمة ينادى بها بقوة يمتلئون قوة ، وهذه القوة ، يظهرونها بإخلاصهم وبحياتهم وبجهادهم إلى الموت من أجل الحق (٦) . لكن هنالك بعض الأشخاص الفارغين ، الذين ليست لديهم أية قوة إلهية رغم أدعائهم الإيمان بالله بيسوع ، وهم إنما يتظاهرون بأنهم قد تجددوا وقبلوا كلمة الله .

---

(١) مت ٤ : ١٩

(٢) ١ كو ٢ : ٤ و ٥

(٣) مز ٦٨ : ١١ و ١٢

(٤) مز ١٤٧ : ١٥

(٥) مز ١٩ : ٤ . رو ١٠ : ١٨

(٦) سيراخ ٤ : ٢٨

ورغم أنى ذكرت فيما تقدم قولا نطق به المخلص فى الأناجيل فإننى سأذكره لأنه مناسب الآن ، إذ هو يبين سابق علم المخلص عن التبشير بالإنجيل الواضح بأنه إلهى ، وعن قوة الكلمة التى تغلب - بدون معلمين - بقوة إقناعها الإلهية أولئك الذين يؤمنون . فيسوع يقول « الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون . فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة لحصاده (١) » .

الفصل الثالث والستون

وطالما كان كلسس يقول إن رسل يسوع « أشخاص أردياء السمعة » ويدعوهم « أشر محصلى الضرائب والملاحين » ، فإننا نرد عن هذه التهمة أيضا بالقول إنه يبدو بأنه يصدق الكتاب المقدس حينما يريد أنتقاد المسيحية ، ويكذب الأناجيل لئلا يضطر لاعتراف بإعلانات اللاهوت المعلنة فى نفس تلك الأسفار . وكل من رأى روح الحق الذى تأثر به هؤلاء يجب مادونوه عن الإلهيات . لقد كتب فعلا ، فى رسالة برنابا العامة ، التى ربما يكون كلسس قد أقتبس منها ، أن الرسل كانوا « رديئى السمعة ومن أشر الناس » وأن يسوع « أختار رسله الذين كانوا خطاة أكثر من كل الباقين » .وفى إنجيل لوقا قال بطرس ليسوع « أبعد عنى يارب لأنى رجل خاطىء (٢) » .

(١) مت ٩ : ٣٧ و ٣٨
(٢) لو ٥ : ٨

وعلاوة على هذا فقد قال بولس فى الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ، رغم أنه هو نفسه كان قد صار أخيراً رسولا ليسوع « صادقة هى كلمة ومستحقة كل قبول أن يسوع المسيح جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا (١) .

ولسبب غير معروف نسى ، أو لم يفكر أن أقول شيئاً عن بولس الذى - بعد موت يسوع - أسس كنائس فى المسيح . ولعله قد رأى أنه سـوف يفسر تاريخ بولس ، وكيف أضطهد كنيسة الله ، وحارب المؤمنين بمرارة ، لدرجة أنه أراد حتى أن يسلم إلى الموت تلاميذ يسوع . لكنه فيما بعد تغير تغيراً كلياً حتى أنه من أورشليم إلى الليريكون أكمل البشارة بانجيل المسيح ، وكان يطمع أن يكرز بحيث لا يبنى على أساس أى شخص آخر ، بل فى الأماكن التى لم يكرز فيها مطلقاً بإنجيل الله فى المسيح (٢) . فلماذا إذن يكون أمراً مغيظا إن كان يسوع وهو يريد أن يبين للبشرية مدى قدرته على شفاء النفوس ، قد أختار أشخاصاً خاملى الذكر ومن أشر الناس ، وهذبهم طويلاحتى صاروا أمثلة لأسمى الصفات وأطهرها للذين تجددوا على أيديهم وقبلـوا إنجيل المسيح ؟

---

(١) ١ تى ١ : ٢١٥

(٢) رو ١٥ : ١٩ - ٢١

الفصل الرابع والستون

وإن أردنا أن نعير الذين تجددت حياتهم وتغيروا عن سيرتهم الماضية ، جازلنا أيضاً أن نهاجم فيدو (١) الفيلسوف لأنه ، كما تقول الرواية أخرجه سقراط من بيت ردىء السمعة ليدرس الفلسفة وعلاوة على هذا جاز لنا أن نهاجم الفلسفة بسبب خلاعة بوليمو (٢) خليفة زينو كراتس (٣) فى هذه الأمثلة يجب مدح الفلسفة على أساس أن تعاليمها فى الذين أقنعوهم كانت لها القوة لتغير البشر وترجعهم عن أمثال تلك الشرور رغم أنها سبق أن تشبثت بهم.

يوجد بين اليونانين سوى فيدو واحد (ولا أعرف شخصاً آخر غيره) وبوليمو واحد ، اللذين تغيرت حياتهم فهجرا حياة الفجور والدنس ليدرسا الفلسفة . أما بين أتباع يسوع فلم يوجد الإثنا عشر فقط لما كان على الأرض ، بل هنالك عدد وفيرجداً باستمرار ، الذين إذ صاروا جماعة يتمتعون بقوة ضبط النفس ، فإنهم يقولون عن حياتهم السابقة « نحن أيضاً كنا قبلا أغبياء غير طائعين ، ضالين ، مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين فى الخبث والحسد ، ممقوتين ، مبغضين بعضنا بعضاً . ولكن

---

(١) Phaedo

(٢) Polemo

(٣) Xenocrates

حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه ومحبته للبشر » صرنا أشخاصاً ذوى أخلاق كما نحن الآن « بغسل الميلاد الثانى وتجديد الرح القدس الذى سكبه بغنى علينا » (١) كما علمنا ذاك الذى تنبأ فى المزامير .

وإود أيضاً أن أضيف إلى ما قلته إن كريسبس (٢) . فى كتابه عن علاج الشهوات وهو يهدف إلى قمع شهوات النفس البشرية ، يجتهد بأن يعالج أولئك الذين قد تملكت عليهم الشهوات بإخبارهم أن يتبعوا تعاليم الشيع المختلفة ، رغم أنه لا يدعى بأنه يعين مقدار صدق أى تعليم . وهو يقول « إن كانت اللذة هى الغاية القصوى فعلى الناس أن يشفوا شهواتهم زاعمين أن هذا حق ، ومفترضين وجود ثلاثة أنواع من الخير . هذا يعنى تماما أن الأشخاص المستعبدين لشهواتهم يجب أن يتخلصوا منها باتباع هذا المبدأ .

إن الذين ينتقدون المسيحية لا يدركون عدد الأشخاص الذين يقمعون شهواتهم ، وعدد الذين يتغلبون على شررهم الكثيرة وعدد الذين يهذبون عاداتهم الشريرة بفضل الإنجيل . كان يجب أن يعترفوا بالشكر للإنجيل عندما يلاحظون الخدمات الجليلة التى يسديها للمجتمع ، ويشهدون له بأنه على أى حال نافع للجنس البشرى ، حتى ولو لم يكن صادقاً .

---

(١) تى ٣ : ٣ - ٦

(٢) Chrysippus

الفصل الخامس والستون

لقد علم يسوع تلاميذه بأن لا يكونوا متهورين قائلا لهم « إذا أضطهدوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى . وإذا أضطهدوكم فى هذه فاهربوا أيضاً إلى أخرى (١) وأعطاهم مثلا لتعليمه بحياته الهادئة فقد كان يحرص على أن لا يواجه الأخطار بلا مبرر . أو فى الوقت غير المناسب ، أو بلا هدف صالح . وهذا أيضاً حرفه كلسس بخبث عندما قال رجله اليهودى ليسوع : « لقد هربت هنا وهنالك مع تلاميذك .

لعلكم تلاحظون أن الرواية التى رواها أرسطوطاليس تشبه إفتراء لذلك اليهودى على يسوع وتلاميذه . فان أرسطوطاليس عندما رأى أن محكمة العدل توشك أن تنعقد لمحاكمته على تهمة الألحاد بسبب تعاليم معينة فى فلسفته التى أعتبرها الاثينيون إلحاداً ، هجر أثينا وأقام مدرسته فى كالسيس (٢) ، مدافعاً عن نفسه أمام تلاميذه بالقول « لنهجر أثينا لئلا نعطى الاثينيين فرصة ليأثموا مرة أخرى كما حدث فى حالة سقراط ، ولئلا

---

(١) مت ١٠ : ٢٣

(٢) Chalcis

يسيئوا مرة أخرى إلى الفلسفة » لقد أعتبر كلسس أن يسوع تجول مع تلاميذه ليتسول بكيفية مزرية وبالحاح ما يقتاتون به » .

فليبين لنا أين حصل على فكرة التسول المزرى اللحوح . ففى الاناجيل نجد « بعض النساء كن قد شفين من أمراضهن ، بينهن سوسنة كن يقدمن لتلاميذه طعامهم من أموالهن (١) أى فيلسوف كرس نفسه لمنفعة تلاميذه لم يقبل منهم أموالا لسد أعواز ؟ ألم يكن صواباً ولائقاً بهم أن يفعلوا هذا ؟ لكن لما قبل تلاميذ يسوع هذه الخدمة أتهمهم كلسس بأنهم تسولوا معيشتهم بكيفية مزرية وبالحاح » .

الفصل السادس والستون

بعد هذه الملاحظات قال يهودى كلسس ليسوع « ولماذا أيضاً عندما كنت طفلا أخذت إلى مصر لئلا تقتل ؟ إنه لا يليق بإله أن يخاف الموت . لكن ملاكاً نزل من السماء وأمرك أنت وأسرتك بالهروب ، لئلا تموت إذا بقيت فى مكانك ، ألم يكن ممكناً أن الله العظيم ، الذى سبق أن أرسل لك ملاكين ، يحرسك أنت يا أبنه ، فى نفس ذلك المكان ؟

بهذه الكلمات يظن كلسس أنه لا يوجد شىء إلهى فى جسد ونفس يسوع ، بل حتى يفترض أن جسده له صفات كالتى ذكرتها أساطير هومر ، على أى حال فلقد هزأ بدم يسوع الذى سفك

---

(١) لو ٨ : ٢ و ٣

على الصليب ، وقال إنه لم يكن « jchor » (١) مثل ما يجرى فى عروق الآلهة المباركين (٢) .

على أننا نصدق يسوع نفسه عندما يقول عن اللاهوته الذى فيه أنا هو الطريق والحق والحياة (٣) أو أى قول مماثل ، وأيضاً عندما يقول هذا قاصداً أنه كان فى جسد بشرى « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق (٤) . وهكذا نحن نقول إنه جمع فى شخصه اللاهوت والناسوت . وبما أنه أتى إلى الحياة البشرية ليعيش كإنسان فقد حق له أن يحرص على أن لا يعرض حياته للخطر فى الوقت غير المناسب . كان يجب أن يهرب به أولئك الذين نشأوه ، الذين أرشدهم ملاك الله ، وحذرهم فى المرة الأولى قائلا « يايوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم أمرأتك (٥) لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس وفى المرة الثانية حذرهم بهذه الكلمات « قم وخذ الصبى وأمه وأهرب إلى مصروكن هناك حتى أقول لك. لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ويهلكه (٦) ،هنا نجد كلمات الكتاب لا يتطرق إليها الشك مطلقاً . ففى كلتا الآيتين قيل إن الملاك أنبأ يوسف بهذه الأمور فى حلم . وإن كان أشخاص معينون يؤمرون فى حلم بأن يفعلوا أشياء معينة فهذا ما يحدث للكثيرين أيضاً ،سواء كان حامل الرسالة للنفس ملاكاً أو أية وسيلة أخرى.

---

(١) العصارة الاتيرية التى تجرى فى عروق الآلهة .

(٢) هذا التعبير هو الذى ورد فى أساطير هومر .

(٣) يو ١٤ : ٦

(٤) يو ٨ : ٤٠

(٥) مت ١ : ٢٠

(٦) مت ٢: ١٣

فلماذا يعتبر سخيفاً إذن أنه لما تجسد أغتنى به فى حياته البشرية بقصد تجنب الأخطار ، ليس لأنه كان مستحيلا أن يتم بطريقة أخرى ، بل لأنه كان يجب أستخدام كل الطرق والسبل الممكنة بحرص لنجاة يسوع ؟ إن كان الطفل يسوع قد تجنب مؤامرة هيرودس وهرب مع من كانوا ينشؤنه إلى مصر لحين موت ذلك الشخص الذى كان يتآمر ضده ، فقد كان هذا أفضل من أن تعرقل العناية الإلهية الحارسة ليسوع إرادة هيرودس الحرة فى رغبتها أن تقتل الطفل . وأفضل من إحاطة يسوع بما يسميه الشاعر (١) « خوذة الجحيم » ، أو بأى شىء مماثل ، أو أن تضرب العناية الإلهية أولئك الذين تقدموا ليقتلوه كما فعلت بشعب سدوم (٢) .

لو كان قد قدمت إليه معونة خارقة للعادة لما كانت قد خدمت هدفه ، وهو أن يعلم - كانسان شهد له الله - بأنه كان هنالك وراء الإنسان المنظور عنصر إلهى ، هو الذى يليق به هذا اللقب « أبن الله » ، الكلمة الإلهى ، قوة الله وحكمة الله ، الذى يدعى المسيح .

وعلى أى حال فليس هذا هو الوقت المناسب لتفسير الطبيعة المزدوجة ، والعنصرين اللذين يتكون منهما يسوع المتجسد ، فهذا موضوع يبحثه المؤمنون فى مناقشاتهم الخاصة .

---

(١) هومر
(٢) أى تضربهم بالعمى (تك ١٩ : ١١)

الفصل السابع والستون

بعد هذا قال يهودى كلسس ، كما لو كان هو شخصياً يونانياً أحب التعلم ، وتهذب بالآدب اليونانى : إننا لا نصدق الأساطير القديمة التى نسبت ميلاداً إلهيا لبرسيوس (١) وأمفيون (٢) وإيكوس (٣) ومينوس (٤) . ومع ذلك ، فلكى لا تبدو بأنها غير جديرة بالتصديق ، فقد وصفت أعمال هؤلاء الأشخاص بأنها عظيمة وعجيبة وفوق طاقة البشر حقاً . أما أنت فما الذى فعلته بالقول أو العمل مما يعتبر جميلا أو عجيباً ؟ إنك لم تظهر لنا أى شىء ، مع أنهم تحدوك فى الهيكل طالبين منك أن تقدم علامة واضحة تبين أنك أبن الله (٥) .

وعن هذا نرد بالآتى : ليبين لنا اليونانيون أى عمل قام به أى واحد ممن ذكرت أسماؤهم أعلاه كان نافعاً نفعاً جزيلا للحياة البشرية ، وكان له تأثير على الأجيال اللاحقة ، وكان ذا أهمية قصوى تؤيد التقليد المتواتر عنهم ، الذى يؤكد بأنهم ولدوا ولادة إلهية . لكنهم لا يقدرون أن يبينوا أى عمل قام به أولئك الذين ذكر أسـمائهم تكون له أهمية كالأعمال التى قدمها يسـوع ، إلا إذا

---

(١) Perseus (٢) Amphion (٣) Aeacus
(٤) Minos (٥) يو ١٠ : ٢٣ و ٢٤

أحالنا اليونانيون على بعض الأساطير وعلى أقاصيصهم ، وطلبوا منا أن نصدقها دون تفكير معقول ، مع أنهم لا يصدقون قصة حياة يسوع التى تدعمها الأدلة الكثيرة .

نحن نؤكد بأن كل العالم البشرى لديه الأدلة عن أعمال يسوع طالما كانت قائمة فيه كنائس الله التى تضم أشخاصاً تجددت حياتهم عن طريق يسوع ، وتخلصوا من شرور لا حصر لها ، وفضلا عن هذا فإن أسم يسوع لا يزال ينقذ الناس من أمراضهم العقلية ، ومن الأرواح ومن الأمراض الجسدية كذلك ، ويغرس وداعة عجيبة وأخلاقاً هادئة ، ومحبة البشـر ، وعطفاً ورقة ، فى الذين لم يتظاهروا بأنهم مسيحيون بسبب أحتياجهم لضروريات الحياة ، أو لأية حاجة أخرى ، لكنهم بإخلاص قبلوا البشارة عن الله وعن المسيح وعن الدينونة العتيدة .

الفصل الثامن والستون

وإذ شك كلسس فى أن الأعمال العظيمة التى تممها يسوع يمكن إظهارها ونحن لم نذكر عنها إلا القليل مع أن هنالك الكثير جداً ، فقد أدعى بأنه يسلم أن الكتاب المقدس قد يكون صادقاً عندما يتحدث عن « معجزات الشفاء ، أو الاقامة من الموت ، أو إشباع أشخاص كثيرين من خمسة أرغفـة ، وفضل عنهم كسـر كثيرة ، أو عن أقاصيص أخرى غريبـة رواها تلاميذه « حسب زعمـه ، ثم أستمر يقـول « تعال ، ودعنا نصدق بأنك أحريت حقاً المعجزات » .

وفى الحال وضعها فى مستوى واحد مع « أعمال السحرة الذين يدعون بأنهم يجرون معجزات عجيبة ، وأعمال الذين علمهم المصريون ، الذين من أجل دريهمات يكشفون حكمتهم المقدسه فى وسط الأسواق ، ويخرجون الأرواح من الناس ، ويشفون الأمراض ، ويستحضرون أرواح الأبطال ، ويولمون ولائم فاخرة ، ويبسطون موائد الطعام والفطائر والأطعمة التى ليس لها وجود ، ويجعلون الأشياء تتحرك كأنها حية . مع أنها ليست كذلك ، لكنها إنما تبدو هكذا فى أوهامهم » .

ثم قال « وإن كان هؤلاء الأشخاص يجرون هذه العجائب أفينبغى أن نعتبرهم أبناء اللّه ؟ أو هل ينبغى أن نقول إنها هى تصرفات أشخاص أشرار حل فيهم روح شرير » ؟ .

وأنتم ترون أنه بهذه الكمات يعلن مصادقته على يقينية السحر ولست أدرى إن كان هو نفس الشخص الذى كتب ضد السحر لكنه نظراً لأنه تصادف أن هذا يخدم قصده فقد قارن بين الرويات التى تروى عن يسوع وبين أقاصيص السحر ، كان يمكن عمل هذه المقارنة لو كان فى بداية الأمر أعطى برهاناً عن مماثلتهم لمن يستخدمون الخداع .

والواقع إنه لا يوجد ساحر يستخدم حيله لكى يدعو المتفرجين إلى الإصلاح الأدبى ، أو يعلم - بخوف اللّه - أناساً ذهلوا مما رأوا ، أو يحاول إقناع المتفرجين لكى يعيشوا كأناس سوف يدينهم اللّه .

إن السحرة لا يفعلون شيئاً من هذا ، لأنهم لا تتوفر لديهم المقدرة ليفعلوه ، ولا الإرادة . وهم كذلك لا يبالون بإصلاح حياة الناس ، لأنهم هم أنفسهم مشحونون بأقبح وأشنع الخطايا . ألم يكن خليقاً بمن صنع المعجزات ليدعو من نظروها لإصلاح حياتهم الأدبـية - ألم يكن خليقاً به أن يبرز نفســه مثلا أعلى لأسمى حياة ، ليس فقط لتلاميذه المخلصين ، بل أيضاً للباقين ؟ هذا ما فعله يسوع لكى يكرس تلاميذه أنفسهم لتعليم الناس حسب إرادة الله ، ولكى تكون كل تصرفات الآخرين وفق مشيئة الله العلى ، أولئك الآخرين الذين تعلموا - إما بتعليمه ، أو بحياته الأدبية أو بمعجزاته - الطريق الصحيح لكى يعيشوا .

وطالما كانت حياة يسوع بهذه الكيفية فكيف يمكن لأى واحد أن يقارنه بتعقل بتصرفات السحرة دون أن يؤمن بأنه - حسب وعد الله - هو الله الذى ظهر فى جسد بشرى من أجل خير جنسنا ؟

الفصل التاسع والستون

بعد ذلك لخبط بين المسيحية وآراء بعض الشيع ، كأن المسيحيين يشاركونهم آراءهم ، وطبق أعتراضاته على كل الذين تجددت حياتهم عن طريق الكلمة الإلهية ، فقال : « لا يمكن أن يرتضى إله بأن يكون له جسد مثل أجسادكم » .

أما نحن فنقول له إنه عند مجيئه إلى هذه الحياة ، إذ ولد من امرأة أتخذ جسداً بشرياً قابلاً للموت البشرى . لهذا السبب - علاوة على أسباب أخرى - نقول أيضاً إنه كان مصارعاً عظيماً لأن جسده البشرى جُرب فى كل شىء مثل كل الناس ، ومع ذلك لم يكن مثل الناس الخطاة ، لأنــه كان بلا خطيــة مطلقاً (١) . فالأمر واضح لنا أنه « لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر (٢) . والله أسلم من « لم يعرف خطية (٣) . ذبيحة طاهرة عن جميع الذين أخطأوا .

بعد ذلك قال كلسس « لا يمكن أن يكون جسد إله قد ولد كما ولدت أنت يا يسوع » . ومع ذلك فقد أدرك أنه إن كان قد ولد كما يقول الكتاب المقدس لكان جسده قد صار أكثر روحانية من باقى البشر ، أى قد صار جسد الله .

وعلاوة على هذا فقد كذب ما هو مدون عن الحبل به بالروح القدس ، وأعتقد بأن أباه كان شخصاً يدعى بانثيرا (٤) أفسد العذراء . هذا هو السبب الذى دعاه ليقول « أن جسد إله لا يمكن أن يكون قد ولد كما ولدت أنت » وقد سبق أن تحدثنا بتوسع عن هذه المواضيع فى أوائل هذا الكتاب (٥) .

---

(١) عب ٤ : ١٥ (٢) ١ بط ٢ : ٢٢

(٣) ٢ كو ٥ : ٢١ (٤) Panthera

(٥) أنظر الفصل الثانى والثلاثين

الفصل السبعون

وقال : « إن جسد إله لا يمكن أن يكون قد أكل مثل ذلك الطعام » كأنه أستطاع أن يبين من الأناجيل أنه كان يأكل ، وبين نوع الطعام الذى كان يأكله . وعلى أى حال فإن إفترضنا أنه استطاع أن يبين هذا فكان يمكنه أن يذكر أنه أكل الفصح مع تلاميذه ، ذاكراً بأنه لم يقل قط « شهوة أشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم (١) » ، بل أكله فعلا . كان يمكنه أيضاً أن يذكر بأنه عندما عطش شرب عند بئر يعقوب (٢) .

وما هى علاقة هذا بما نقوله عن جسده ؟ إن الأمر واضح بأنه أكل سمكاً بعد قيامته (٣) . ونحن نعتقد بأنه أتخذ جسداً لأنه ولد من أمرأة .

وبعد هذا قال « إن جسد إله لا يمكن أن يعطى صوتاً بهذه الكيفية ، ولا يستخدم مثل هذه الطريقة للاقناع " . هذا أيضاً أمر تافـه ، وأعتراض تافه . ونحن نرد عليه بالقول إن أبولو ، الذى يعتقـــد اليونانيــون أنه إله ، يســتخدم « صوتا بهذه الكيفيـة »

---

(١) لو ٢٢ : ١٥ (٢) يو ٤ : ٥٦ و ٧

(٣) لو ٢٤ : ٤٢ و ٤٣ ، يو ٢١ : ١٢

فى كاهنته ، أو فى النبية التى فى ميليتس . ومع ذلك لم يوجه اليونانيون أى أنتقاد ضد أبولو أو ضد أى إله يونانى آخر ، يشير بأنه ليس إلهاً . لكن الله كان أسمى جداً من هذا إذا أستخدم صوتاً بعث الأقتناع - بكيفية لا يمكن وصفها - فيمن سمعوه : لأنه أذيع بقوة .

الفصل الحادى والسبعون

بعد هذا نجد أن هذا الرجل المبغض من الله بسبب إلحاده وتعاليمه الشريرة قد قذف الإساءة على يسوع وقال « هذه كانت تصرفات شخص يبغضه الله ، تصرفات ساحر شرير » .

لو كانت الكلمات الي أستخدمت والوقائع الحقيقية قد فحصت بدقة لتبين أنه من المستحيل أن يبغض الله إنسانا ، لأن الله « يحب الموجودات كلها ولا يبغض شيئاً مما خلقه ، لأنه لم يخلق شيئاً فى بغضه (١) » . وإن وجدت فى النبوات فقرات تقول شيئاً من هذا القبيل فيجب تفسيرها بهذه القاعدة العامة إن الكتاب المقدس يستخدم عن الله كلمات كما لو كانت له العواطف البشرية .

---

(١) مز ٥٤ : ٥

وعلى أى حال فلماذا يحتاج الأمر إلى الرد على شخص يظن مناقشاته التى يعترف بأنها أمينة ، أنه من الصواب أن يستخدم الشتائم القذرة ضد يسوع كأنه شرير ومشعوذ ؟ ليس هذا تصرف إنسان جاد فى مناقضته ، بل تصرف شخص ذى عقل سافل بعيد عن الفلسفة . كان خليقا به أن يسرد الحقائق ، ويدرسها بذهن مفتوح ، ويدون عنها الملاحظات التى تخطر بباله على قدر ما يستطيع .

وكما ختم يهودى كلسس ملاحظاته عن يسوع بهذه الكلمات فإننا نحن أيضاً إلى هنا نختم الكتاب الأول من ردنا عليه ، وأن منح اللّـه الحق الذى يبدد كلمات الكذب وفق الصلاة التى تقول « بحقك أفنهم (٢) ، بدأنا فى الكتاب التالى بالظهور الثانى ليهودية ، الذى جعله يوجه ملاحظاته التالية للذين ربحهم يسوع ،

---

(٢) حكمة سليمان ١١ : ٢٤ و ٢٥ .

رقم الايداع ٢٣٣٧ / ١٩٧٣

طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

فى كاهنته ، أو فى النبية التى فى ميليتس . ومـع ذلك لم يوجه اليونانيون أى أنتقاد ضد أبولو أو ضد أى إله يونانى آخر ، يشير بأنه ليس إلهاً . لكن اللّٰه كان أسمى جداً من هذا إذا أستخدم صوتاً بعث الأقتناع - بكيفية لا يمكن وصفها - فيمن سمعوه : لأنه أذيع بقوة .

الفصل الحادى والسبعون

بعد هذا نجد أن هذا الرجل المبغض من اللّٰه بسبب إلحاده وتعاليمه الشريرة قد قذف الإساءة على يسوع وقال « هذه كانت تصرفات شخص يبغضه اللّٰه ، تصرفات ساحر شرير » .

لو كانت الكلمات الي أستخدمت والوقائع الحقيقية قد فحصت بدقـة لتبين أنه من المستحيل أن يبغض اللّٰـه إنسـانا ، لأن اللّٰـه « يحب الموجـودات كلها ولا يبغض شيئـاً مما خلقه ، لأنه لم يخلق شيئاً فى بغضـه (١) » . وإن وجدت فى النبـوات فقرات تقـول شيئـاً من هـذا القبيل فيجب تفسيرهـا بهذه القاعدة العامـة إن الكتاب المقدس يستخدم عن اللّٰه كلمات كما لو كانت له العواطف البشرية .

---

(١) مز ٥٤ : ٥

وعلى أى حال فلماذا يحتاج الأمر إلى الرد على شخص يظن مناقشاته التى يعترف بأنها أمينة ، أنه من الصواب أن يستخدم الشتائم القذرة ضد يسوع كأنه شرير ومشعوذ ؟ ليس هذا تصرف إنسان جاد فى مناقضته ، بل تصرف شخص ذى عقل سافل بعيد عن الفلسفة . كان خليقا به أن يسرد الحقائق ، ويدرسها بذهن مفتوح ، ويدون عنها الملاحظات التى تخطر بباله على قدر ما يستطيع .

وكما ختم يهودى كلسس ملاحظاته عن يسوع بهذه الكلمات فإننا نحن أيضاً إلى هنا نختم الكتاب الأول من ردنا عليـه ، وأن منح اللـّه الحق الذى يبدد كلمات الكذب وفــق الصلاة التى تقــول « بحقك أفنهم (٢) ، بدأنا فى الكتاب التالى بالظهـور الثانى ليهودية ، الذى جعله يوجه ملاحظاته التالية للذين ربحهم يسوع .

---

(٢) حكمة سليمان ١١ : ٢٤ و ٢٥ .

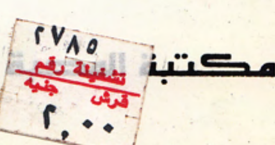
رقم الايداع ٢٣٣٧ / ١٩٧٣

طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)



MAHABA BOOKSHOP





مكتبة

٣٠ شارع شبرا ناصية شارع البعثة - ت : ٥٧٥٩٢٤٤ - ٥٧٧٧٤٤٨